الفصل الثالث

الإسلام كبديل

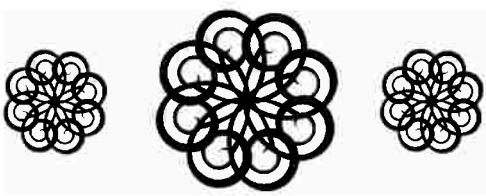

تمهيد

عنوان هذا الفصل هو نفسه عنوان البحث الرائع الذى فاجأ به الدكتور مراد هوفمان العالم ،فأثار ضجة واسعة عند صدوره، والدكتور هوفمان كان يعمل سفيراً لألمانيا فى المغرب، ثم أسلم مقتنعاً بإفلاس الحضارة التى ينتسب إليها ،ومؤمناً كذلك بالحقيقة الكبرى التى تفرض اليوم نفسها ، وهى أنه لا بد من بديل حضارى آخر يملك خصائص ومقومات أخرى ، غير الخصائص والمقومات التى تقوم عليها حضارة الغرب ، والرجل يطرح الإسلام بديلاً ، ويؤكد فى مقدمته على أن الإسلام هو وحده القادر على أن يأخذ بيد البشرية ويمسك بزمامها ؛ لينطلق بها مرة أخرى محلقًا فى آفاقه العليا، بعد مرحلة السقوط الرهيب التى تشقى فيها ، يقول د./ هوفمان : **(كان الإسلام إبَّان الصراع بين العالم الغربى والشيوعية ، يستطيع أن يعد نفسه الطريق الثالثة المباينة لهما ، أى أنه الخيار الحر المستقل عن كليهما ، لفهم العالم والتعامل معه عقائدياً، أما اليوم ، فإن الإسلام يطرح نفسه بديلاً لكلا النظامين ، وذلك لتوفير الحياة على أفضل وجه وتذليل مشكلاتها المستفحلة ، خاصة بعد أن عاد العالم من جديد مصطرع كتلتين اثنتين ، ولا يخفى على المتأمل البعيد الرؤية أن يرى الزحف الإسلامى في القرن الحادى والعشرين مسيطراً ممكناً لانتشاره ديناً لأغلبية البشر ، أما كون هذا الزعم الذى تؤكده مجريات الأمور حقيقة واقعة – إن شاء الله – فذلك مايشير إليه عنوان الكتاب ، إن الإسلام لا يطرح نفسه بديلاً – خيارياً- للمجتمعات الغربية بعد الصناعية ، إنه بالفعل هو البديل الوحيد)** [1] .

(1) الإسلام كبديل ،صـ19 ،د./ مراد هوفمان ،ط3،سنة 2001م ،مكتبة العبيكان ، الرياض .

الإسلام ضرورة

إن الطريف فى هذه الشهادة التى سقتها من خلال رؤية د./ هوفمان أنها تطرح القضية هكذا / إما الإسلام وإما الإسلام، بمعنى أن خيار البشرية اليوم واحد لا يتعدد، والإسلام هو ذلك الخيار؛ لأنه يملك كل مقومات البديل تتمثل فى نظام واضح لبناء فرد صالح ، وأسرة متماسكة ، ومجتمع هادئ ، وبشرية راشدة ،هذه هى أهم وأرقى مقومات البديل المطلوب ، فهو إذن ضرورة إنسانية وحضارية ملحة ، تحُّن إليه النفس وينتظره الجميع ، وتشتاق إليه البشرية في هذه المرحلة النكدة من تاريخها ، وهذه الضرورة قد حققها الإسلام أول مرة عندما تمت تجربته فنجح ، وكان نجاحه – وأرضى ، فقد (**تكفل بهداية البشر جميعاً، وأوصى ضمير الإنسان وعقله وروحه ولَّبى مطلبه فى العقيدة والإيمان ، ورسم الطريق لبناء مجتمع عالمي راسخ ، يقوم على أسس من العدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية .. وعالج ماكانت تقترف فيه الإنسانية قبله من أخطاء ، وقضى على ماكانت تتخبط فيه من شرور ، وظل ومازال قابلاً للعطاء**)[1] .

لقد حقق الإسلام ذلك من قبل،وهو قادر على أن يحققه مرة أخرى، ونحن على يقين من ذلك؛لأننا نؤمن أنه من عند الله،فهو صناعة ربانية ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[2] .

(1) نعم الإسلام هو الحل ،صـ71 ، محمد عبد الله الخطيب ،ط 1 ، سنة 1989 ، دار المنار ، باختصار.
(2) النمل: 88.

سؤال وجوابة

وعندما يتم طرح الإسلام كبديل،يتساءل الناس-وهو سؤال منطقي- عن المؤهلات التي يملكها الإسلام ليكون البديل، وبالطبع لا يكفي هنا أن نقول أنه بديل مجرب- أي تمت تجربته من قبل ونجح- وإن كانت التجربة خير دليل وأعظم برهان، وإنما ينبغي أن يكون هذا الطرح قائمًا عل أسس تمثل حلولاً عملية وواقعية يمكن لها أن تعود بالمجتمع العالمي مرة أخرى إلى شواطئ الأمن والسكينة،إن البشرية تفتقد المنهج الواضح، والطريقة الصحيحة والتصور السليم لحقيقة الإنسان، وأهمية الأسرة، وضرورة الأمن ، وحتمية السلام من أجل الاستقرار والبقاء، وبناء على ذلك شقيت- وستظل- مالم يتقدم المسلمون بمنهجهم الواضح، وشريعتهم الهادية، وتصوراتهم الربانَية التي تحمل الإجابة على كل الأسئلة التي تبحث لها البشرية عن حل، إننا نملك الجواب واضحًا، بل مفصلًا ،إن الإسلام هو البديل القادر على تحقيق ما تطلبه البشرية في المرحلة الراهنة ويتمثل في :

1- **بناء الإنسان الصالح.**
2- **تكوين الأسرة الفاضلة.**
3- **إخراج المجتمع الآمن.**
4- **نشر السلام في العالم.**

هذا ماتطلبه البشرية اليوم، وهذا ما يملكه الإسلام، والصحفات القادمة ستلقى الضوء على تلك الحقيقة.

أولاً الإنسان الصالح

أخفقت الحضارة الحديثة في إخراج الإنسان الصالح، وفشلت في هذا المضمار فشلاً لا يقارن، وتبدو معالم هذا الفشل واضحة في صورة الإنسان الذي ينتسب إليها، ففي قلبه أمواج الأسى، وفي عقله معالم الضياع والتخبط، وعلى جبينه ملامح البؤس والشقاء، لقد انتقلت هذه الحضارة بإنسانها من دائرة الإنسانية الواسعة السمحة،إلى دوائر أخرى أقل قيمة، وأحط منزلة،فإنسان هذه الحضارة الذي تربى في حجرها، ورضع قيمها، ونما عقله على فتات تصوراتها، تجده اليوم خائفًا، مضطربًا، لا يستقر عل حال من القلق، يهرول كالمجنون، ويتقلب كالمصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس، لا تكاد ترى فيه من سمات الإنسانية سوى جسد منتصب، وقامة فارهة، بداخلها روح خامد، وضمير غائب، ونفس تحترق شقاء ونكدًا، إن هذا الإنسان في حاجة إلى إعادة صياغة وتكوين، على أسس أعلى، ومعالم أسمى؛ ليعود بعدها إنسانًا يمشي على الأرض بقدم ثابتة، وروح تحلق في السماء، يعمر الأرض بيده، ونفسه تحلق في آفاق عليا لا يطار لها على جناح ولا يسعى إليها على قدم.

بين هدف وهدف:

تلتقي مناهج التربية الحديثة كلها حول هدف واحد، هذا الهدف هو:إعداد المواطن الصالح، ولكنها بعد ذلك تختلف اختلافًا بينًا في رؤيتها لهذا الإنسان، وفي تحديد مواصفاته، ويصور الشيخ محمد قطب حقيقة هذا التباين فيقول: إن هذا الإنسان(**قد يكون هو الجندي الشاكي السلاح، االمتأهب في كل لحظة للوثوب،سواء للعدوان، أو رد العدوان، وقد يكون هو الرجل الطيب المسالم الذي لا يحب الاعتداء على أحد، ولا اعتداء أحد عليه، وقد يكون هو الناسك المتعبد الذي يهجر الحياة الدنيا وينصرف عن صراع الأرض الكريه، وقد يكون هو العاشق لوطنه، المجنون بعنصريته، وقد يكون.. وقد يكون.. ولكنها تشترك كلها في شئ واحد: في إعداد المواطن الصالح.**

أما الإسلام فلا يحصر نفسه في تلك الحدود الضيقة، ولا يسعى لإعداد(المواطن) الصالح، وإنما يسعى لتحقيق هدف أكبر وأشمل، هو إعداد(الإنسان) الصالح، الإنسان على إطلاقه، بمعناه الإنساني الشامل، الإنسان بجوهره الكامن في أعماقه، الإنسان من حيث هو إنسان لا من حيث هو(مواطن) في هذه البقعة من الأرض أو في ذلك المكان) [1] .

إن الفارق هنا بعيد وعجيب بين مناهج التربية الأرضية، ومنهج الإسلام،إنه بعيد تمامًا بعد المسافة بين معنى المواطن الصالح ومعنى الإنسان الصالح،فالمواطن الصالح صلاحه موقوف على وطنه أما الإنسان الصالح فصلاحه للإنسانية كلها، وعليه فإنسان تلك المناهج ضيق مغلق نفعي عنصري، أما إنسان الإسلام، فإنه يتحرك بإنسانيته ضميرًا حيًا، وقلبًا نقيًا، وعقلًا متفتحًا سويًا، في الأرض كل الأرض، ومع الناس كل الناس.

الإنسان أولاً:

إن الإنسان يمثل حجر الزاوية في أي بناء حضاري، وكل حضارة لا تحترم هذه الحقيقية، فهي رد على أصحابها؛لأن الإنسان هو الذي يصنع الحضارة، وهو الذي يستفيد من الحضارة، و من ثَمَّ لا تتم العملية الحضارية على وجهها الأكمل الذي يلائم الإنسان وينسجم مع فطرته،إلا بوضع الإنسان في موضعه الصحيح من هذه العملية، وهذا ما فعله الإسلام، فمع شئ من التأمل نجد أن(**كل ما في القرآن إما حديث إلى الإنسان، أو عن أمر يتصل بالإنسان بشكل أو بآخر، فالإنسان إذن هو قضية القضايا في الدين، هو محور هذا الكون، وهو سيد في هذا الكون، والدين هو الذي أعطى له هذه المكانة الفريدة؛لأن الله قد جعله خليفة في الأرض، وأسند إليه تعمير الكون وصنع الحضارة)** [2] .

---

(1) منهج التربية الإسلامية،ط1،ص13،محمد قطب، مصدر سابق.

(2) مفاتيح الحضارة وتحديات العصر،ص18،د. / محمود حمدي زقزوق، سلسلة قضايا إسلامية رقم33،ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

إن بناء الإنسان الصالح إذن يأتي على رأس القائمة في بناء الحضارة، فهو يمثل نقطة الانطلاق نحو حضارة إنسانية شامخة وباسقة، الإنسان محورها ومركز الدائرة فيها،وعلى الرغم من وجود مكونات أخرى للحضارة على جانب كبير من الأهمية، غير أنها لاتعدو مكملات ومتممات للمكون الأول والأعظم وهو الإنسان.

الإنسان الصالح، رؤية إسلامية:

إن الإسلام وحده هو القادر على إعادة بناء الإنسان وفق مقاييس الوحي، فهو كلمة الله الأخيرة، وهي الكلمة الوحيدة التي تميزت بحفظ الله لها[1] ، في الوقت الذي طال التحريف فيه الوحي السابق، ولم يبق منه سوى ومضات قليلة، لاتنير طريقًا ولا تهدي سبيلًا، ونحن على يقين تام أنه ما لم يوجد الإنسان الذي يحمل فى عقله وقلبه قيم الحضارة، فلن تقوم حضارة، وإذا قامت فإنها سوف تصطدم بفطرة الإنسان، و من ثم يجب تحضير الإنسان أولاً، عبر إعادته إلى قيم الوحي ونماذجه الحضارية التى يقدمها ، وعليه فإن الإنسان الصالح ، أو المواطن العالمى – كما يسميه الدكتور عبد الكريم بكار [2] – له سمات ومواصفات يحددها الإسلام نفسه وفيما يلى ضوء على أبرزها :

إنسان عقيدة:

والعقيدة فى الإسلام واضحة المعالم ، محددة القسمات ، تطلع على الدنيا طلوع الشمس فى عليائها ، تبدد الظلام وتزيل الغبش والأوهام فهى تتميز بأنها :

(أ) **عقيدة وضحة** :

فلا تعقيد فيها ، تفصل بين الوجود الإلهى الأعلى والوجود الإنسانى وتَجِلُّ الألوهية فيها عن الشريك والشبيه .

(ب) **عقيدة الفطرة** :

فهى تتوافق مع فطرة الإنسان وتنسجم معها .

(جـ) **عقيدة ثابتة** :

حيث لا تقبل الزيادة أو النقص، وترفض التحريف والتبديل.

---

(1) يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:9].

(2) انظر كتابه : من أجل انطلاقة حضارية شاملة ،صـ101،ط1، سنة 1415 هـ ، دار المسلم ، الرياض .

(د) عقيدة مبرهنة:

فلا تطلب من الإنسان أن يعتقدها وهو أعمى ، ولكنها تقوم على الدليل والبرهان .

(هـ) عقيدة وسط:

فهى تدور بين إفراط العقائد وتفريطها [1] .

بهذه المميزات وغيرها ، تصوغ العقيدة الإسلامية الإنسان فى أبهى صوره،وأرقى حالاته ؛ ليعيش فى سلام مع نفسه ، ومع غيره، ومع الكون من حوله فى ضوء العقيدة وربانيتها .

(1) انظر: العقيدة جوهرها وآفاقها ،صـ42، محمد عبد الله الخطيب ،دار المنار ، بتصرف تام.

الإيمان بالنبوات

والإيمان بالنبوات عند المسلم يتضمن معانى عدة منها :

1- الإيمان بحكمة الله البالغة ، ورحمته الواسعة ، حيث لم يترك الإنسان هكذا دون هدايات متنوعة ، وعلى رأسها هداية الوحى ، يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[1] .

2- الإيمان بوحدة الدين ، فدين الله سبحانه واحد وإن تعدد الرسل واختلفت الشرائع ، يقول سبحانه : ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾[2] .

3- الإيمان بمثل عليا وقدوات للإنسانية ، تجعل مكارم الأخلاق وصالح الأعمال حقائق واضحة وواقعة ، وهم فى ذات الوقت بشر يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق[3] يقول سبحانه : ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾[4] .

الإيمان بالثواب والعقاب :

ومن أبرز عناصر الإيمان عند المسلم إدراكه أن وراء هذه الحياة حياة أخرى هى أدوم وأبقى ، يحصد الإنسان فيها ما غرست يداه ، ويجازى بما قدم ، إن خيراً فخير وإن شراً فمثله، فالحياة الدنيا ليست هى النهاية كما يتصور البعض ،وإنما هى مرحلة فى وجود الإنسان الممتد إلى الحياة التى تليها (**فهى الأمل الأسمى والحظ الأوفر ، ولو كان العيش فى هذه الدنيا هو كل شئ لكان الانتحار العاجل أولى بالناس أجمعين ،إن الدار الآخرة هى الحيوان ،والاستعداد لها هو وظيفة البشر فى هذه الفترة الضيقة من آجالهم**).

---

(1) الإسراء : 15 .

(2) الشورى : 13 .

(3) انظر : الإيمان والحياة ،صـ32،د./ يوسف القرضاوى،مصدر سابق،بتصرف تام.

(4) الأنعام :90 .

إن هذا الإيمان لاشك يضبط سلوك الإنسان ، ويكفكف من غلوائه ، ولذا نجد الإنسان عندما يفقد هذا الإيمان، يتحول إلى وحش كاسر، يركض فى الدنيا ركض الوحوش فى البرية ، فيمسك بيده كل شئ ، ويفقد أخص خصائصه ، وهى إنسانيته، لكن الإيمان يعيد تركيب الإنسان من جديد ؛ليكون لبنة فى بناء الإنسانية الصالحة وجدار الحضارة المؤمنة .

إنسان عبادة :

إن مهمة العبادة فى الإسلام واضحة ومحددة ،وهى إنشاء الفرد الذى يمتلك رؤية صحيحة للحياة والكون وموضع الإنسان فيهما ، وهي كذلك تمنح الإنسان قوة دائمة وسكينة مطلقة،يستمدهما من خلال الاتصال الدائم بالقوة الأولي في السماوات والأرض، وفي هذا المعني يقول المفكر المسلم الأستاذ/ ،عمر عبيد حسنة عن العبادات في الإسلام: (**هي أشبه ما تكون بمحطات يتزود فيها المسلم بطاقات تضمن له ديمومة تغلب دوافع الخير علي نوازع الشر، وهي وسائل لتحقيق الخضوع والعبودية لله تعالي، وبناء المسم ذي السلوك المتميز الذي ينتقل بالعبادة من موقع يعاني الضعف والهبوط البشري إلي موقع صاعد في مجال السمو والارتقاء ،فهو بعد العبادة إنسان آخر، وإذا لم يتحصل ذلك فالعبادة لم تتحقق غايتها ، ولم تؤت ثمرتها،ولم يحسن الإنسان الانتفاع بها**)[1].

والمتأمل في العبادات التي شرعها الإسلام سرعان ما يدرك أن الإنسان هو موضوعها، وهو المعني بها أولا وآخرًا ،فهي علي تنوعها ما شرعت إلا من أجل إعادة صيا غته وتكوينه، وفق منهج رباني يصله بخالقه ويمنحه الرؤية الصحيحة والفكرة الواضحة التي تضمن له السير في الإطار المرسوم له دون شذوذ أو انحراف.

تنوع العبادات :

والعبادات في الإسلام تتنوع فلا تقف عند صورة بعينها ، وهذا التنوع يفتح أبوابًا من الرحمة بالإنسان كمخلوق ضعيف يسأم الرتابة، ويمل الثبات علي حال، ويعشق التعدد والتنوع، وكذلك إلي جانب ما تحمله كل عبادة من معان تنفرد بها عن أختها ؛

(1) نظرات في مسيرة العمل الإسلامي ،ص191،ط1،سنة 1405هـ،كتاب الأمة.

لتصير مدرسة بذاتها ، تنتشر ظلالها ، ويتنوع عطاؤها،وعليه فلا يمكن لعبادة أن تقوم مقام أختها (**فلا يمكن بحال من الأحوال أن يترتب علي الصلاة الفوائد التي تؤديها الزكاة نفسها أو الحج أو الصيام ، ولو كان ذلك كذلك لاستغني بعبادة عن الأخري ، أما وقد شرع الله لنا هذا الوجه من العبادات ، فمعني ذلك أن لكل عبادة دورها في بناء الشخصية المسلمة، وأن وجودها مجتمعة هو الذي يحقق التوازن المطلوب فى المسلم ويحقق الوسطية ، ويرسم منهج الاعتدال**) [1]. فتنوع العبادات إذن رحمة من الله تعالى بعباده ، ثم هو بعد ذلك صور متنوعة للتربية والإعداد ، وبهذا لا تغنى عبادة عن أختها ولا تقوم مقامها .

(1) مجلة الأمة ،صـ4،ع48،" ربنا أرنا مناسكنا" كلمة الأمة .

العبادة وشمول المعني

ويتسع معنى العبادة فى الإسلام حتى يشمل كل عمل تقوم به الجوارح، وكل قول يلفظ به اللسان ، وكل خلجة داخل النفس،و لكى ينطبق على كل ذلك معنى العبادة لا بد أن يتحقق أمران :

الأول: أن يقصد المرء بعمله وجه الله تعالى.

الثانى: أن يلتزم فى عمله ما شرعه الله تعالى لعباده .

بهذين الشرطين يتحول العالَم إلى محراب كبير ، وتنقلب الأرض إلى مسجد جامع ، يمارس المسلم فيه السجود لربه منسجمًا مع مفرادات الكون من حوله ، متسقًا مع كل مخلوق بين السماء والأرض، فالعبادة (**اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصوم ، والحج وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والجهاد للكفار والمنافقين ، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم ، وأمثال ذلك هو من العبادة**) [1].

إنسان صقلته العبادة :

إن الإنسان الذى يريده الإسلام إذن إنسان (**صقلته عبادات الإسلام التى حررها من رق الكهنوت، ومن احتكار الكهان، وفتح بابها للاتصال بالله الواحد الأحد بلا وسيط أو سمسار مزعوم: من صلاة تصله بالله كل يوم خمس مرات، ومن صيام يربى إرادته ويعده لتقوى الله شهراً من كل عام ، ومن زكاة تزكى نفسه وتطهرها من رجس الشح والأنانية ، ليصبح فى زمرة المنفقين مما رزق الله ،ومن حج يجمعه مرة فى العمر بغيره من المسلمين من أقطار الأرض حول أول بيت وضع لعبادة الله**) [2]. إن المسلم يشمر عن ساق الجد؛ ليؤدي تلك العبادات وفي يقينه أنه يؤديها حقًا لخالقه الذي خلقه وخلق الكون من أجله، فهو بذلك يقوم بإحدى الوظائف الأساسية التي

---

(1) العبودية،صـ5،ابن تيمية ، مصدر سابق.

(2) الإسلام حضارة الغد ،صـ170،د. / يوسف القرضاوى ، مصدر سابق.

ما خلقه الله تعالى إلا لها، وهي العبادة، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (1).

الثالث: إنسان خلق وسلوك.

إن الإنسان كائن أخلاقي بالفطرة، وهذه الحقيقة يشير إليها ويؤكدها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (2). وحسن التقويم لايكون في جمال الخلقة فقط، وإنما يكون كذلك في نقاء الفطرة وصفائها، يؤكد هذه الحقيقة أن الإسلام عندما يتحدث عنه الإنسان لا يجزئه ولا يقطعه ، وإنما يتحدث عن كلاً متكاملاً، روحًا وجسدًا، وعقلاً ووجدانًا، وبناء على هذه الحقيقة، فإن إنسان الإسلام يحمل بين جنبيه قلبًا تقيًا، وفوق جوارحه سلوكًا نقياً، فقد زكَّى نفسه، وهذَّب روحه، فاكتمل خلقًا واستقام خُلُقًا.

مكانة الأخلاق في الإسلام :

والأخلاق في الإسلام ليست – وإنما هي من لوازم الإيمان وتمام العقيدة، ومجتمع صفر من الأخلاق هو إلى التجمعات الحيوانية أقرب منه إلى المجتمعات البشرية، ولا يلبث المتأمل أن يدرك مدى الترابط بين أركان الإسلام وبين الأخلاق، وكل عبادات الإسلام تؤكد متانة هذا الترابط فهي(**عبادات متباينة في جوهرها ومظهرها، ولكنها تلتقي عند الغاية التي رسمها الرسول ﷺ في قوله:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". فالصلاة والصيام والزكاة والحج، وما أشبه هذه الطاعات من تعاليم الإسلام هي مدارج الكمال المنشود، وروافد التطهر الذي يصون الحياة ويعلي شأنها..فإذا لم يستفد المرء منها ما يزكي قلبه، وينقي لبه، ويهذب بالله وبالناس صلته فقد هوى**) (3).

---

(1) الذاريات: 56.

(2) التين: 4.

(3) خلق المسلم،ص7، الشيخ محمد الغزالي،ط10 ،سنة1989 ، دار الكتب الإسلامية،والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك(4221)، من حديث أبي هريرةت،ط1 ،سنة1990 ، دار الكتب العلمية، بيروت.

علاقة الأخلاق بالإيمان:

بل الأكثر من ذلك تعبيراً وإيحاء أن الإسلام جعل وجود الأخلاق وثمرتها في القول والعمل، دليلاً عملياً وواضحاً على وجود الإيمان ذاته، وتأصله في القلب، أما إذا انحرف السلوك، والتوت الأفعال، وضويت الأخلاق،فإن ذلك أكبر دليل على أن صاحبه صفر من الإيمان، وقلبه من اليقين كالبيت الخرب(**فقد وضح صاحب الرسالة أن الإيمان القوي يلد حتماً الخلق القوي، وأن انهيار الأخلاق مرده إلى ضعف الإيمان أو فقدانه، بحسب تفاقم الشر أو تفاهته**)[1]. ولاشك أن هذه الحقيقة يؤكدها الواقع وتثبتها الوقائع،فإذا انحرفت الأخلاق، واعوجَّ السلوك، وأصبح الإنسان يمارس الرذيلة غير آبه بأحد،فإن ذلك مرده بالقطع إلى نضوب الإيمان من نفسه، وإذا رفع الإيمان تبعه الحياء، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ بقوله:" **الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً فإذا رفع أحدهما رفع الآخر**" [2].

أخلاق لا تتجزأ:

وتتميز الأخلاق في الإسلام بعالميتها وسعتها وشمولها، فهي تبذل للناس كل الناس، دون أي اعتبارات منحولة، ومن ثَمَّ فإن المسلم ليس عنصرياً في أخلاقه ، وخلق المسلم واحد(**لا يتجزأ**) فهو ليس كخلق اليهودي الذي يحرم الربا في تعامله مع مثله، ويستحله في تعامله مع الآخرين، وليس كخلق إنسان الغرب الذي يتعامل داخل أوطانه بأخلاق وفضائل مثالية،فإذا تعامل مع البلاد الأخرى سرق وظلم وطغى واستكبر[3].

هذه هي منهجية الأخلاق في الإسلام، لها فلسفتها، ولها أهدافها، والمسلم مع أخلاقه في روضة جنية، يتألق فيها بين الناس كالشعرة البيضاء في الثور الأسود.

(1) المصدر نفسه ص8.

(2) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك(58) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، مصدر سابق.

(3) مدخل لمعرفة الإسلام،ص198،د./ يوسف القرضاوي،ط1،سنة1996م، مكتبة وهبة.

إنسان شريعة

ومن سمات الإنسان الصالح الذي يريده الإسلام كذلك، أنه يلتزم في سلوكه منهجًا ربانيًا، وشريعة محكمة، تحدد له سلوكه، وتضبط له تصرفاته، وتحكم كذلك مشاعره، وهي كذلك شريعة تحل الحلال وتحرم الحرام، وتبين الحقوق وتفصل الواجبات، فلم تترك شيئًا في حياة الإنسان إلا وفصلته تفصيلاً، يقول سبحانه : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (1).

شريعة عليا :

هذه الشريعة التى يحتكم إليها المسلم تديناً، ويلتزمها عبادة واحتساباً، تتميز بعلو مكانتها ، وسمو منزلتها ؛لأن مصدرها وحى السماء، وتفصيلاتها ربانية ، ونصوص الوحى تبرز هذه الحقيقة وتؤكدها ، يقول سبحانه: ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ (2). وفى الحديث كذلك :" **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله** " (3). وكلمة الله تعالى اسم جامع لكلماته ، وبكلماته نزلت شريعته ، فكلمة الله هى شريعة الله ويكون معنى الآية : وشريعة الله هى العليا،وهذا المعنى كذلك يشير إليه قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ (4) . وصوت النبى ﷺ هو شرعه الذى جاء به فلا يحل لأحد أن يقدم شرعا عليه (5) .

شريعة شاملة :

ثم إنها كذلك شريعة تتسم بالشمول ، فهى بناء متكامل ، يشد بعضه بعضاً، ورغم

---

(1) النحل :89 .

(2) التوبة : 40.

(3) الحديث أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ،ك/ التوحيد ، باب / قوله تعالى (**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين**) ،ج13،صـ450.

(4)الحجرات : 2.

(5)انظر : المشروعية الإسلامية العليا ،صـ45،د./ على جريشة ،ط2،سنة 1986م،دار الوفاء بتصرف .

تنوعها وتعدد جوانبها، إلا أن التناسق يبدو واضحاً بين أجزائها ، يدرك ذلك كل من يقف على مكوناتها وجوانبها الآتية :

(أ) جانب العقيدة .

(ب) جانب الشعائر .

(ج) جانب الأحكام العملية[1] .

ومن خلال الثقة فى علو الشريعة ، وفى إطار شمولها ، يتحرك المسلم منضبطًا تصوره بمنهج الله ،ومستقيمًا سلوكه مع أحكام شريعته ، فيقدم للبشرية النموذج الأمثل فى الاتزان والالتزام .

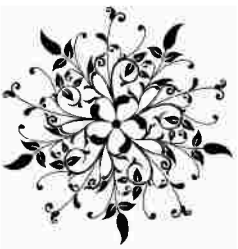

(1) انظر : المصدر نفسه ،صـ50، بتصرف .

لما خلق الله سبحانه الإنسان وزودَّه بالعقل ،كان ذلك إيذانًا بتميزه على سائر المخلوقات ، وعلى أساس من العقل كان التكليف ، فلا تكليف لغير العاقل ، ومن هنا ندرك أن الوحى نزل يخاطب العقلاء فقط ، وتكفى تلك اللفتة الربانية احتراماً للعقل ، وتقديرًا لمكانته ، ومن أجل ذلك (**لا يجوز لإنسان أن يعطل العقل عن أداء وظيفته ،مثلما لا يجوز له أن يعطل جارحة من الجوارح التى انعم الله بها على الإنسان عن أداء وظيفتها ، كاليد والرجل والسمع والبصر.. فهذه كلها جوارح خلقها الله للإنسان ؛ لتؤدى كل منها وظيفة معينة ،والعقل خلقه الله سبحانه أيضاً للإنسان ؛ ليؤدى وظيفة معينة فتعطيله عن أداء وظيفته يعد تعطيلاً لنعمة من نعم الله تعالى عن أداء وظيفتها**) [1] .

التقليد مرفوض :

ومن منطلق احترام الإسلام للعقل ، وحرصه على أن يدرك الإنسان قيمة النعمة التى أنعمها الله عليه ، نهى الإسلام عن التقليد ، وحذر من التبعية الفكرية ، وأكد أن التقليد الأعمى نوع من الانحراف ، لا يليق بمخلوق كرمه الله تعالى ومنحه العقل ، ومن هنا قرر المحققون من علماء الإسلام أن إيمان المقلد المطلق غير مقبول؛ لأنه لم يؤسس على برهان، ولم يقم على حجة وبينة، وما كان أروع القرآن الكريم عندما طلب من كل صاحب دعوى أن يأتى بدليل واضح وبرهان بيِّن على دعواه، وإلا ردت عليه كما يرد الثوب الخلق يقول سبحانه :﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [2] .

لابد من دليل :

وفى هذا الإطار نهى الإسلام عن اتباع مالا دليل عليه ، وقدم القرآن الكريم أنوعًا من الأدلة ، بل من أصول الأدلة تضمن تحقيق العلم القطعى ومنها :(**دليل الماديات**

(1) الإنسان فى التصور الإسلامى ،صـ20،د./ محمود حمدى زقزوق ، سلسلة قضايا إسلامية ، رقم 68.
(2) النمل :64 .

وهو الحس ، ولهذا أنكر القرآن على الذين زعموا أن الملائكة إناثًا بقوله : ﴿ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ﴾[1] .

دليل العقليات وهو الفكر : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.

دليل التاريخيات وهو النقل الصادق ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾.[2]

دليل الغيبات وهو الوحى : ﴿قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (3) .

ومن خلال هذه الأدلة يمكن للمسلم أن يحصل العلم الذى هو مكون هام من مكونات الحضارة عن طريق العقل الذى هو منحة ربانية للإنسان ،يميز به الأمور ، ويتوصل عن طريقه إلى حقائق الأشياء) .

إنسان سعى وعمل :

إن الإنسان الذى يريده الإسلام ليس عاطلاً يجمد طاقاته ،فتتجمد الحياة من حوله ، وليس راهبًا فى دير يعتزل الحياة ،كل ذلك لم يكن ولن يكون ؛لأن المسلم يدرك تمامًا أن عمارة الأرض إحدى مقاصد الخلق ، فكما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

ليؤكد الغاية العظمى للخليقة ، قال كذلك يبين أحد مقاصد الخلق وغاياته : ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [4] .

فقوله تعالى :﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾. أى طلب منكم عمارتها ، وعليه فإن المسلم يبذل الجهد فى عمارة الأرض دون أن يفترق أبداً فى حسه عمل لدنيا أو عمل لدين،فالطريق واحدة تبدأ الدين – بالدنيا ،وتنتهي بالآخرة ،وعلي المسلمين أن يدركوا أنهم (لن

(1) الزخرف : 19 .

(2) الأحقاف : 4. .

(3) انظر :مدخل لمعرفة الإسلام ،صـ208،د،/ يوسف القرضاوى ، مصدر سابق ،والآية من سورة يونس :59 .

(4) هود :61 .

يرضوا ربهم ويخدموا دينهم إذا أحسوا أنه ينبغي عليهم أن ينسوا الله والدين إذا دخلوا المدرسة أو الجامعة أو المعمل أو المصنع أو المتجر،وفي حسابهم أنهم الآن يعملون للأرض ويعملون للدنيا،وأنهم في لحظة أخري حين يفرغون من عمل الأرض ، سيعودون-إذا عادوا- إلي الله فيعبدونه ويتوجهون إليه ،كلا ليس ذلك من الإسلام ، إنما الإسلام أن يأكلوا باسم الله ،ويتزوجوا باسم الله،وبتعلموا باسم الله وفي سبيل الله،ويعملوا أو ينتجوا ويتقووا ويستعدوا في سبيل الله،لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ، ولا الآخرة عن الدنيا ؛لأنهما طريق واحد لا يفترقان) [1].

لابد من الإحسان :

وإذا كان الإسلام يطلب من المسلم أن يعمل،وأن يسعي جاهدًا ،وأن يضرب في مناكب الأرض بحثًا عن الرزق،وتنمية لموارد الحياة،فإن الإسلام لا يكتفي في هذا الإطار بمجرد الدعوة إلي العمل ، وإنما يؤكد كذلك علي قيمة أخري وهي إحسان العمل(**فالله سبحانه عندما نشر أبناء آدم فوق الثري وناط بهم رسالة الحياة،كلفهم-كي يكونوا ربانيين- أن يحسنوا العمل،وأن يبلغوا به درجة الكمال،وإذا غلبتهم طباعهم الضعيفة فلم يصلوا لهذا الشأن،وكرروا المحاولات ولم يستريحوا إلي نقص أو قصور،ولا يزالون يجاهدون حتي يبلغوابأعمالهم درجة الكمال المستطاع،يقول النبي ﷺ:"إن الله كتب الإحسان علي كل شئ")** [2].

إن الإسلام يحث علي العمل للدنيا،ويباركه ويشجع عليه،ويثني في مواطن متعددة علي القائمين به،كل ما يطلبه الإسلام من المسلم في هذا الباب هو التوازن بين العمل للمعاش والعمل للمعاد،وبين مطالب الجسد ومطالب الروح،فلا تلهيه الأولي عن الآخرة ولا الآخرة عن الأولي.

---

(1) قبسات من الرسول ج،ص24،محمد قطب،ط8،سنة1987م،دار الشروق.

(2) المحاور الخمسة للقرآن،ص195،الشيخ/ محمد الغزالي،ط2،سنة1989م،دار الصحوة،والحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه عن شداد بن أوس.ك/ الذبائح،باب/ إذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، ج2، ص1085.

عود علي بدء:

هذا هو المسلم،وتلك مواصفاته كما يريده الإسلام،إنه إنسان يدرك الغاية من وجوده،ويعلم تمامًا من أين جاء؟

ولماذا؟

وإلي أين المصير؟

وعليه فقد اتضحت رؤاه،واستقامت أخلاقه،فهو يعمر الأرض علي أساس من منهج واضح هو منهج الله سبحانه،وهذا الإنسان -إنسان الإسلام-هو الذي عجزت عن إنجاب مثله الحضارة الحديثة ،فجلبت للإنسانية الداء والشقاء،وأنجبته فقط حضارة الإسلام فكان للبشرية الداوء والشفاء،بما يحمل من عقيدة صحيحة وعبادات ربانية ،وشريعة محكمة،وخلق فاضل.

ثانيًا تكوين الأسرة الفاضلة

بعد اهتمام الإسلام بالفرد يأتي اهتمامه بالأسرة باعتبارها اللبنة الثانية في بناء المجتمع الإنساني، وإذا كان البناء يأخذ صفة لبناته من قوة المجتمع وتماسكه،والعكس بالعكس، فقداهتم ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام بالأسرة ،وسنّ لها من التشريعات الراقية،والآداب العالية ما يضمن أولاً وجودها ثم بقاءها ثم دوامها واستمرارها في أمن واستقرار.

دعوات مضادة:

واجهت الأسرة علي مدار تاريخها الإنساني دعوات رخيصة،تهدف إلي فصم عراها وتفكيك روابطها ،ومحو وجودها لأهداف لم تعد تخفي علي أحد،وتمثل ذلك قديمًا في:

(أ) فلسفة (ماني) الذي ظهر بفارس قبل الإسلام،وكان يزعم أن العالم ملئ بالشرور،ويجب فناؤه،ولايتم ذلك إلا بالإعراض عن الزواج .

(ب) وكذلك في نظام الرهبنة،حيث كان الرجل يفر من المرأة فراره من الأسد باعتبارها شرًا محضًا[1].

وهذه الفلسفات القديمة لم تمت،فللحية رءوس متعددة،وفي العصر الراهن أدرك اليهود خطر التماسك الأسري علي دعواتهم ومخططاتهم فقالو: سوف ندمر الحياة الأسرية بين الأمميين ،ونهوَّن من أهميتها التربوية،كما أكد ماركس في فلسفته علي هدم نظام الأسرة،وتنشئة الأطفال في محاضن جماعية بعيدًا عن البيت والأسرة [2]،وبهذا المكر السيِّئ يحاول أعداء الإسلام ،بل أعداء الإنسانية ، أن يقوضِّوا بنيان الأسرة ، ويدكُّو أركانها ، مدركين تمامًا أن العالم لن تتقوض أركانه إلا من هذا الطريق ، ولعل هذه الدعوات قد أثمرت بالفعل ثمارها النكدة فى الواقع ،يقول المفكر المسلم على عزت

(1)انظر: مدخل لمعرفة الإسلام ،ص213،د/ يوسف القرضاوي،مصدر سابق.

(2) انظر في ذلك:احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام،ص217، د/ سعد الدين السيد صالح،ط1،سنة1998م،مكتبة الصحابة ،بتصرف.

بيجوفيتش : (**إن الحضارة لا تقضى على الأسرة فقط من الناحية النظرية ، وإنما تفعل ذلك فى الواقع أيضًا ، فقد كان الرجل أول من هجر الأسرة ثم تبعته المرأة ، وأخيراً الأطفال ، ونستطيع أن نتتبع القضاء على الأسرة فى كثير من الجوانب ،فعدد حالات الزواج فى تقهقر متصل،مع تزايد فى حالات الطلاق،وازدياد عدد النساء العاملات ، والزيادة فى عدد المواليد غير الشرعيين، وازدياد مستمر فى عدد الأسر التى تقوم على أحد الوالدين فقط وهى الأم ...**)[1].

وهذه صورة مصغرة من الواقع السَّيئ الذى يهدد الإنسان بالفناء والحياة بالدمار والخراب.

الزوج في الإسلام :

وبعيدًا عن عبثية تلك الدعوات،وفوضي هذه الفلسفات ،نجد الإسلام –الذي تظلمه المقارنة–يعتبر الزواج أصل الأسرة ،ومن ثم يأخذ من العناية ما تناله الأسرة إن لم يكن أشد،وينطلق اهتمام الإسلام بالزواج من منطلقين:

الأول: اعتبار الزوج فطرة كونية:

فالزوجية في نظر الإسلام قانون الكون كله،وهو ما يشير إليه قوله تعالي: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [2]

الثاني: اعتبار الزوج فطرة إنسانية:

فالإنسان لا يعيش وحده حتي لوكان في الجنة،فقد خلق الله سبحانه آدم، ثم جعل له من نفسه زوجًا يسكن إليه ثم قال: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ فلا معني للجنة إذن بغير أنس ولا سكن [3].

من هذا المنطلق حث الإسلام علي الزواج ورغب فيه باعتباره فطرة في الإنسان، وفطرة في الكون،بل جعله الله سبحانه واحدة من أعظم آياته فقال: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

---

(1) نقلاً عن التفكك الأسرى ،دعوى للمراجعة،صـ82،مجموعة من الباحثين، كتاب الأمة ، العدد/ 85.

(2)الذاريات:49.

(3)انظر :خطب الشيخ القرضاوي،ج1،ص124،مكتبة وهبة ،بتصرف.والآية من سورة البقرة:35.

خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [1].

مقاصد الزواج :

حين سن الإسلام الزواج –وخلافاً لكثير من الدعوات الأرضية التى تعرقل وجوده وتضع العقبات فى طريقه – كما يهدف من ورائه إلى عدة مقاصد تعود على الإنسان والإنسانية بالخير والرشد ، وهذا ضوء على أبرزها .

1- **الراحة والسكن :**

هذا أول مقاصد الزواج فى الإسلام ،أن يجد كل من الزوجين الراحة والأنس والسكن مع صاحبه ،فالإنسان جسد وروح ، وهو من حيث الجسد ذكر وأنثى ، ومن حيث الروح إنسان وإنسانة ، والزواج يطفئ غريزة الجسد ، ويشبع شوق الروح ، يقول سبحانه : ﴿ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [2] .

يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله :(فهى نفس واحدة فى طبيعة تكوينها وإن اختلفت وظيفتها بين الذكر والأنثى ، وإنما هذا الاختلاف ؛ ليسكن الزوج إلى الزوجة ويستريح إليها ، وهذه هى نظرة الإسلام لحقيقة الإنسان ووظيفة الزوجية فى تكوينه ، وهى نظرة كاملة وصادقة ..والأصل فى التقاء الزوجين هو السكن والاطمئنان والأنس والاستقرار ؛ ليظلل السكون والأمن جو المحضن الذى ينمو فيه الفراخ الزغب) [3] . إن الزواج – لاشك – يملأ فراغاً فطريًا فى نفس الإنسان ، به يطمئن من قلق ، ويسكن من حيرة، ويستقر بعد اضطراب حيث يجد كل منهما فى صاحبة الرحمة والمودة ، وهى نعمة لا تتحقق إلا بالزواج .

2- **تحقيق الحياة السعيدة :**

ومن أعظم مقاصد الزواج فى الإسلام ،أن يحصل الرجل والمرأة على سعادة تجمع بينهم، وتظلل بيتهم ، وترفرف بأجنحتها فوقهم، وهى سعادة لا يهملها الإسلام ، بل

---

(1) الروم :21 .

(2) الأعراف :189 .

(3) فى ظلال القرآن ،ج3،ص1411، مصدر سابق .

يطلبها لأبنائه ويسعى لتحقيقها على مستوى الفرد والأسرة والجماعة ،فإذا تحققت هذه السعادة تفرغ المرء بعدها لمستويات أعلى وأعظم ،حيث القضايا المصيرية بالنسبة للفرد كإقامة دين الله عن طريق العبادة ، وبالنسبة للأمة كعمارة الأرض والتمكين فيها ، وقد وردت الإشارة إلى أن الزواج يحقق هذا النوع من السعادة في بعض النصوص النبوية مثل قوله ﷺ :"**أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع، والجار الصالح ، والمركب الهنئ**"[1] .

3- **إيجاد الشخصية السوية :**

وبالزواج تكتمل شخصية المرء وتنمو؛ إذ الزواج يتيح للرجل أن يتحمل المسئولية، وتحمل المسئولية أحد عناصر اكتمال الشخصية ، وليس هذا للرجل- فقط،بل إن الزوج يهيِّئ للمرأة نفس الفرصة لإتمام الشخصية ، وتحمل مسئوليتها كاملة داخل بيتها ، والزواج ميثاق غليظ ، ومسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة ،للوصول بالأسرة إلى بر السلامة ، يقول تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾[2] . إنها حقوق مشتركة ، وواجبات متبادلة ، بها ينمو الإنسان وتتسع مداركه ، فيكتمل إنسانًا سوياً، وبشراً نقياً ، وإلى هذا المعنى يشير قوله ﷺ :"**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ،فالرجل راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها** "[3].

4- **حفظ النوع الإنساني :**

والزواج كذلك حفظ لنوع الإنسان ،وبقاء للحياة الإنسانية ،وهذا واحد من أعظم مقاصد الزواج في الإسلام –إن لم يكن أعظمها على الإطلاق –يقول الله تعالى : ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[4] .

---

(1)الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه(4032) من حديث سعد بن أبي وقاص ط ،ط2، سنة 1993م ، موسسة الرسالة – بيروت .

(2)البقرة :228 .

(3)الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه ، عن عبد الله بن عمر ب ،ك ./ النكاح ،باب/ قوله تعالى : (**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**)ج9،ص163 .

(4) البقرة :187 .

يقول الإمام ابن كثير- رحمه الله تعالى :(يعنى :الولد) [1] .يقول الغزالى رحمه الله وهو يتحدث عن فؤائد النكاح: **(الفائدة الأولى :الولد،وهو الأصل ، وله وضع النكاح، والمقصود إبقاء النسل وأن لا يخلو العالم من جنس الإنس وإنما الشهوة خلقت باعثة ومستحثة)**[2]، وبتحصيل الولد يحقق الإنسان أمرين :

الأول : اتصال عمره وامتداد بقائه من خلال ذريته ،وهو الأمر الذى دفع الأنبياء لطلب الولد فقال إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [3].

وقال زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [4].

الثانى : بقاء النوع الإنسانى وامتداد الحياة ، يقول سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [5].

5- **تكوين الأسرة :**

ومن مقاصد الزواج فى الإسلام كذلك : تكوين الأسرة ؛إذ الأسرة نواة المجتمع ، وأساس بنائه، ولن يقوم مجتمع سليم كريم ، مالم تقم فيه أسرة نظيفة كريمة ،ومن هذا المنطلق اهتم الإسلام بالأسرة **(وشرع لها نظاماً دقيقاً، بين فيه حقوق وواجبات أفرادها ، ونظم معاملات النفقة والزواج والميراث وتربية الأولاد فيها ، وبذر بذور المحبة والإيثاروالرحمة بينهم ؛لأن فى تقوية الأسرة وضبط سلوك أفرادها تقوية للمجتمع وضبطاً لحركته، ونشراً للقيم الإنسانية والاجتماعية الرفيعة بين أبنائه حتى يبتعدوا عن الفوضى والتصادم والتحلل الخلقى)** [6] .

---

(1)تفسير ابن كثير ،ج1ص220،ط.مكتبة مصر،بدون .

(2)إحياء علوم الدين ،ج2،ص40،سنة 1994م، دار الحديث .

(3)الصافات : 100 .

(4)الأنبياء :89 .

(5)الحجرات :13.

(6)الإسلام والتنمية الاجتماعية ،ص72،د./ محسن عبد الحميد،ط2،سنة2000م، المعهد العالى للفكر الإسلامى .

وصدق الله العظيم حين يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ (1).

6- **نمو الصلات الاجتماعية :**

ومن مقاصد الزواج – أخيراً –أن تتسع دائرة التعارف بين الناس، وتزداد الروابط قوة، والأواصر تماسكاً،فلا تتوقف العلاقات الاجتماعية عند حد الأبوة والأمومة والبنوة فقط، وإنما تمتد وتتوسع، فيضم الإنسان عشيرة إلى عشيرته ، وأسرة إلى أسرته ، ويتمثل ذلك فى أصهاره وأخوال أولاده وخالاتهم ،بهم تتسع دائرة الألفة ،وتزداد أواصر المودة ،فيتحقق الترابط الاجتماعى الذى هو مقصود لذاته، ولعل هذا المعنى هو الذى أشار إليه ربنا عز وجل بقوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ (2).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله(**فهو في ابتداء أمره ولد نسيب،ثم يتزوج فيصير صهرًا ، ثم يصير له أصهار وأختان وقرابات**)(3).

وبهذا تتنوع العلاقات داخل المجتمع، وتزداد الروابط، ويتحقق التماسك، وتلك دعائم الأمن والسلام والاستقرار. كانت هذه بعض مقاصد الزواج في الإسلام، وأملاً في تحقيقها يتم الزواج، وتقوم الأسرة التي يسعى الإسلام إلى تكوينها، باعتبارها لبنات بارزة من لبنات التجمع البشري.

(1) النساء :2.

(2) الفرقان :54.

(3) تفسير ابن كثير ج3، ص232، مصدر سابق.

منهجية الإسلام في الحفاظ علي الأسرة

لا يتوقف اهتمام الإسلام بالأسرة عند مجرد الدعوة إلى الزواج وبيان المقاصد العليا التي تتحقق من ورائه، وإنما يظل على رعايته وتعهده الدائم لتلك الخلية الصغيرة والمهمة ،فإذا به يضع ضمانات هى فى حقيقتها صمامات أمن للأسرة ، تحمى سيرها ، وتضبط خطوها ؛ لتستطيع بعد ذلك أن تواجه عواصف الحياة ، وتحديات الأيام ،قوية تستعصى على الانحناء، نظيفة تستعلى على عوامل الفتنة والانحراف والإغراء ، ومن أبرز هذه الضمانات مايأتى :

1 - **حسن الاختيار:**

يعد حسن الاختيار أحد أبرز الدعائم المهمة ، التى على أساسها تستقر العلاقات وتنمو المودات ، ونظراً لأهمية هذه الدعامة يتدخل الإسلام فيضع قواعد للاختيار يضمن من خلالها تحقيق الاستقرار المنشود للأسرة ، ويجعل الدين والأخلاق فى كلا الطرفين علامة صدق وإشارة يقين ،أما النظرية النفعية والمصلحية فى الزواج فمرفوضة ، ومن ثَمَّ فإن كل التجارب التى قامت على غير الإسلام محكوم –فى الغالب – بفشلها ، وهذا ماصدقه الواقع وأكدته الوقائع (**إن الذين جمعتهم الدنيا تفرقهم الدنيا،والذين تلاقوا بدافع الطمع فى المال أو المنصب ،فرقتهم أيضاً بروق المطامع ،والذين حاولوا إرساء بيوتهم على نظرة فابتسامة ، تهدمت بيوتهم بعد أن غابت الابتسامة، وتحولت العين باحثة عن صيد جديد، وانكشفت الرغوة العائمة عن طبيعة معتمة لا تصلح لعمارة البيوت**) [1] .لكن الإسلام فى الاختيار يتجاوز كل هذه الصغائر ؛ ليصل إلى لب القضية،فالبناء الأسرى لابد أن يكون ممتزجاً بالدين ، وقائمًا على الخلق ومؤسسًا على الصلاح؛لأن ذلك يعني:(**صلاحية الزوج والزوجة من الناحية الخلقية لتكوين أسرة متوازنة متجانسة تكون محضنًا لجيل المستقبل، فإذا انخدش هذا الوصف، ترك**

(1) أولادنا ،ص28،د./ محمود محمد عمارة،ط1،سنة 1998م،دار الخير .

بمقداره من الآثار في جو الأسرة بما فيها من ذرية تتأثر قطعًا بما ترى وتسمع)[1].إذن لا بد للخلق أن يتوافر في الزوج والزوجة معًا ضمانًا للأمن وتحقيقًا للاستقرار.

2 -**ضرورة التراضي:**

ومن أهم الدعائم التي تشد بنيان الأسرة وتقوي عراها-كذلك- أن يتم الزواج عن رغبة تامة ورضا كامل بين الطرفين، ومبدأ التراضي هذا يدعم بنيان الأسرة ويقويه،فللأب رأيه باعتباره الولي المنوط به حماية الرعية وحفظ مصلحتها، وللأم رأيها كذلك باعتبارها الأقرب إلى البنت والألصق بها، وللبنت بعد ذلك حق القبول والرفض، ونصوص الوحي في هذا الإطار تحاول بحكمة عالية التوفيق بين الآراء للوصول إلى أفضل النتائج، مع الاحتفاظ لكل فرد بحق إبداء الرأي وتوجيه النصح، وإسداد المشورة،فحفاظًا على حق الأب يقول النبى ﷺ :**"أيما امرأة تزوجت بغير إذن وليها فزواجها باطل "**[2]. وحفاظاً على حق الأم يقول :**"آمروا النساء فى بناتهن "**[3] . وحفاظاًعلى حق البنت يقول عن البكر :**"سكوتها إذنها "**[4]. وتعليقًا على هذا كله يقول الشيخ شلتوت رحمه الله- : **(وبهذا الوضع لا ترى أبًا يستبد بسلطان الأبوة فى تزويج بناته دون تعرف رضاها ولا رضا أمها ، ولانرى فتاة تخرج عن سلطان أبيها وأمها ، وترتبط بزوج لا يعرف أهلها عنه شيئًا، وكلا الأمرين قد يؤدى إلى فتن لا تقف عند حد ،تنتحر الفتاة ، أو تتمرد على الزوج الذى أكرهت عليه ، أو تقيم أمها حربًا شعواء على الأب والزوج معًا ، فيفسد البيتان وتشقى الأسرتان)**[5].

3 - **الكفاءة :**

ومن أبرز الضمانات التى وضعها الإسلام كذلك ، كى يسود التفاهم ويحدث التقارب الذى يمكن الأسرة من أداء مهمتها فى الإعداد والتربية : الكفاءة ،وهى تعنى

---

(1) المصدر نفسه.

(2) الحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه،عن عائشة ك ،ك/ النكاح،باب / فى الولى ،ج2،ص229.

(3) الحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه،عن عبد الله بن عمر ب ،ك / النكاح ، باب / فى الاستئمار، ج2 ص232.

(4) الحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه،عن أبى هريرة ا ،ك/ النكاح،باب الاستئمار ،ج2،ص231.

(5) الإسلام عقيدة وشريعة ،ص152،الشيخ / محمود شلتوت،ط16،سنة 1990م ،دار الشروق.

وجود التقارب بين الطرفين فى النواحى المختلفة ،عقليًا واجتماعيًا وغير ذلك ، وهذا التكافؤ تحديداً يكون فى صالح الزوجة وأسرتها ،أكثر مما يكون فى صالح الزوج وأسرته ، ومما لا شك فيه أن دونية أحد الزوجين فى مجال من هذه المجالات التى يطلب فيها التكافؤ،يباعد بينهما عقلاً ويفصل بينهما وجداناً، فقد يستعلى عليها ، وقد تستعلى هى عليه ،الأمر الذى يهدد حياة الأسرة بالخراب وينذر بسوء العاقبة.

إن الإسلام وإن كان يجعل التقوى ميزان التفاضل ،والإيمان أساس التكافؤ،إلا أنه لم يهمل أبداً وجود قدر من التقارب بين الطرفين فى أمور أخرى تجلب الألفة وتدفع الشقاق وأسبابه ، ومن هذا المنطلق نجد أن علماء الإسلام(**توخوا مصلحة الأسرة وصلة المصاهرة، وراعوا مشاعر المرأة إذا تزوجت من دونها، فهى إن رضيت به لا تسلم من نظرات النقد والتعيير حتى ممن رضيت به زوجاً، فتضيق بحياتها مع الزوج،وتبدأ مرحلة النفور منه ،وعدم النزول على مقتضى قوامته وسلطانه، وقد يستغل قوامته استغلالاً سيئًا لها فتضطرب الحياة الزوجية ويسودها التفكك والشقاق ويكون التفريق**) [1] .

ولأجل ذلك اشترط العلماء الكفاءة فى الزواج،فبها يؤدم بينهما ،وتمتد الألفة، وتستمر الحياة .

4-**تأبيد عقد الزواج** :

ومن أبرز الضمانات التى وضعها الإسلام لضمان استمرار الأسرة ودوام ترابطها ، قيام عقد الزواج على التأبيد، وكل محاولة لتحديد العقد أو تأقيته مرفوضة،لأنها تتنافى مع قدسية الزواج وأهمية الأسرة وعمق دورها فى حياة الفرد والمجتمع على السواء ، إن الإسلام يريد لهذا العقد أن يكون تعبيراً عن علاقة زوجية تفيض بمعانى الحب الدائم ، وتنضح – بالزواج بأسباب المودة المستمرة، هذا مايريده الإسلام بالزواج ، غير أن الأمور داخل الأسرة قد تسير فى اتجاه آخر لسبب أو أسباب لا يمكن تجاهلها أو القفز فوقها ، وتبوء كل محاولات الإصلاح بالفشل ، وتسقط كل مساعى الوفاق، وهنا

(1)التفكك الأسرى :الأسباب والحلول المقترحة،ص46، مجموعة من الباحثين ، كتاب / الأمة،العدد/ 83.

يتدخل الإسلام مرة أخرى ؛ليحل هذا العقد حفاظًا على معان أكبر، ومراعاة لضرورة ملحة (**فإذا دبَّ الشقاق إلى البيت، وتعذر جمع شمله ،وتنافر ود أهله ، فلا محيص من الفرقة بين الزوجين ، والفرقة أمر بغيض، وقد يتعدى شرها الزوجين إلى غيرهما ، ولذلك لايُصَار إليها إلا بعد اليأس من المصالحة ،واستئناف حياة أهدأ وأطيب ، والمفروض من التئام شمل الأسرة إقامة حدود الله ، فيعف أحدهما الآخر ، ويعينه على السكينة النفسية، ويمكنه من أداء واجباته الاجتماعية والتفرغ لقضائها ،فإذا استحال ذلك ،فلكلا الزوجين أن يترك الآخر**) [1] .

إن الإسلام يحترم عقد الزوجية ،ويجعله مؤبدًا، ضمانًا للاستقرار المنشود للفرد والأسرة والمجتمع،فإذا فقدت الأسرة استقرارها ، وتلاشت أسباب أمنها ،فلا مصلحة عندئذ فى استمرارها ،فيكون الطلاق – وفى نطاق ضيق – آخر الدواء يدفع به خطر أكبر وشر أعظم.

5 – **تنظيم الحقوق والواجبات** :

ونظراً لأهمية الأسرة فى الرؤية الإسلامية ،كان لابد من توزيع الحقوق ،وضبط المهام وتحديد الواجبات ، وهو الأمر الذى اهتم به الإسلام أيما اهتمام ،وفصلته شريعته فى كمال وتمام ،حيث بينت لكل الطرفين ماله وما عليه بصورة مفصلة، يقوم بها الأمن ويتحقق بها السكن، وتستمر السفينة سائرة نحو الشاطئ المنشود، ويكفى فى هذا الإطار توجيه القرآن الكريم الذى يفيض روعة وجمالاً حيث يقول سبحانه : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [2] .

فللمرأة مثل ماللرجل ،غير أن للرجل درجة زائدة هى درجة القوامة، والقوامة تكليف لا تشريف ، تكليف ينطوى على أعباء ومسئوليات ، وهذه الآية تحمل عدة معان منها :

---

(1) حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ،ص147 ،الشيخ / محمد الغزالى ،ط3، سنة 1984م،دار الكتب الإسلامية .

(2) البقرة :228 .

1- العدالة التامة بين الطرفين فى تبادل الحقوق والواجبات .

2- المماثلة الكاملة والمساواة التى يؤكدها قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ [1].

3- الشورى الذى يجب أن يقوم عليها بناء الأسرة ،فقد رد الله سبحانه الحقوق والواجبات للعرف (بالمعروف) (**والعرف يقتضى التفاهم بالحسنى دون إكراه من طرف لآخر ، وهذه هى الشورى**) [2] .

أولا : نماذج من حقوق الزوجة :

وقد فصل الإسلام حقوق المرأة كزوجة ومنه بعضها :

1- **المهر:**

وهو حق خالص للمرأة ليس للزوج فيه حق إلا برضاها .

2- **النفقة:**

وهى تشمل ماجرى به العرف من أشياء كالطعام والشراب والكسوة والمسكن والدواء وغير ذلك .

3- **إحسان العشرة :**

وهى حاجة نفسية تسبق كل مطلب آخر ،قال تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [3] .

4- **صون كرامتها :**

فلا يجرح كرامتها ، ولا يخدش كبرياءها بقول خارج ينالها أو يلحق أهلها .

5- **الصبر والاحتمال :**

فيجب على الزوج بواقعيته أن يدرك أنها بشر ، ومن ثم يوطن نفسه على الصبر حتى تستمر الحياة بالمعروف [4] .

---

(1) البقرة :228 .

(2) انظر :الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة،ص68،البهى الخولى ،ط1 ،سنة 2000م ، دار البشير ، بتصرف .

(3)النساء :19 .

(4) انظر فى هذه الحقوق : مدخل لمعرفة الإسلام ،ص231، مصدر سابق، و الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة ، ص60، وما بعدها،مصدر سابق ،بتصرف.

ثانياً : نماذج من حقوق الزوج:

وكذلك فصل الإسلام حقوق الرجل كزوج وهذه بعضها :

1- **الطاعة في المعروف :**

وهذا حق للزوج، فإذا خرج عن حدود المعروف فلا طاعة .

2- **أن تحفظ غيبته:**

فتصون سَّره ،ولاتأذن في بيته لمن يكره.

3- **أن تحفظ ماله :**

فلا تبذر ولا تسرف ، ولابأس أن تتصدق بالمعروف وهما في الأجر سواء.

4- **أداء عمل البيت بالمعروف :**

أي كما جرى به العرف ، وإن كان التعاون بينهما مأموراً به في كل الأحوال .

5- **التأديب عند النشوزوترك الفرائض :**

فإذا أهملت فرضاً، أو ارتكبت محرماً ، أو قصرت في حق، فمن حقه أن يردعها عن ذلك ، ولكن مع الحفاظ على كرامتها وإنسانيتها[1] .

من خلال هذا العرض السابق يتضح أن الإسلام شرع الزواج لتحقيق مقاصد عليا وغايات سامية ،فإذا ماتم الزواج ونشأت الأسرة تقدم الإسلام خطوة أخرى ،فوضع لها من الضمانات مايحمي وجودها ، ويحافظ على بقائها ؛لتكون السكن والدفء لأفرادها، فإذا سكن الفرد واستقرت دعائم الأسرة ،كان ذلك إيذانًا بميلاد مجتمع قوى متماسك ، وتلك هي الحلقة الثالثة في بناء الإنسانية .

(1) انظر :نفس المصدرين السابقين ،بتصرف تام .

ثالثا إخراج المجتمع الآمن

إن الإسلام باعتباره المشروع البديل للفوضى القائمة ، يقدم للإنسانية فرداً متوازناً ، وأسرة متماسكة يمدها بأسباب القوة والعافية ، ومن خلال الفرد والأسرة يتكون المجتمع الذى هو الدائرة الأكبر التى فى إطارها يتحرك الفرد ، وتقوم الأسرة بدورها ، ولما كانت العلاقة وثيقة بين هذه الحلقات ،ويؤثر كل منها على الآخر تأثيرًا مباشرًا وواضحاً، اهتم الإسلام بالمجتمع اهتماماً بالغاً لا يكاد يقف عند حد ، وهو ما سوف توضحه الصفحات التالية .

مصالح مشتركة :

تبدو عظمة الإسلام واضحة في كل تشريعاته ونظمه وأحكامه، وتبدو كذلك بصورة أوضح عندما يضع لنا الدعائم القوية والمعالم البينة التى على أساس منها تقوم العلاقة بين الفرد والمجتمع الذى يعيش فيه ، وينطلق الإسلام فى ذلك من إدراكه للحقيقة الكبرى ، وهى أن المصير واحد ، والعيش واحد ، والحسنة التى تعود على الفرد تطول المجتمع ، والسيئة كذلك ، من هنا لم يترك الإسلام الفرد والجماعة حتى رسم لكل واحد منهما إطاراً من الحقوق والواجبات المتبادلة ، يبذلها الفرد للمجتمع راضياً، ويبذلها المجتمع للفرد راعيًا وحانيًا؛ لتكون النتيجة فى النهاية لصالح الفرد والجماعة على السواء ؛ ليتم الترابط الاجتماعى المنشود فى أكمل هيئة وأتم صورة ، وبنظرة على تعاليم الإسلام فى هذا الإطار ، يبدو التوسع البديع فى مجال المواءمة بين الحقوق والواجبات المنوطةبكل من الفرد والجماعة ، وهذه أمثلة لها :

(أ) حق الفرد على المجتمع :

إن الإسلام يغرس فى كيان الجماعة ألوانًا من الحب وأشكالاً شتى من الحقوق التى تضمن للفرد السلام والأمن ، وهذه أمثلة لها :

1 – يمنح الإسلام كل فرد فى المجتمع حقه من الأفضلية والريادة بمقدار ما يتمتع به من خصال الخير ، بصرف النظر عن أى اعتبارات أخرى ، يقول الله سبحانه : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ (1) . وعليه وجدنا الصحابة يختارون أبا بكر رضي الله عنه رغم كونه من تيم التى لم تكن أعظم فخذ فى قريش ،وولّى النبى ﷺ أسامةبن زيد على جيش فيه أبو بكر وعمر ،إنها المؤهلات والقدرات على أرضية من الإيمان والتقوى، التى بها يأخذ المسلم مكانه فى مجتمعه.

2 – يغرس الإسلام فى نفس الفرد الشعور بالانتماء ، ويدفع عنه كل إحساس بالغربة ، وهذا واضح من خلال إجراءات كثيرة يشعر من خلالها الفرد بحق الجماعة عليه كإلقاء السلام ، وزيارة المريض، والمشاركة فى السراء والضراء، وإغاثة الملهوف، ودفع الظلم عن المظلوم ، وغير ذلك من الإجراءات التى تجعل الفرد يشعر أنه عضو فى جماعة تعينه إذا استعان ، وتنصره إذا طلب النصر .

3 – يضمن المجتمع المسلم للفرد حد الكفاية بمقتضى مايراه الحاكم المسلم ،وذلك من خلال مساعدته عند الحاجة بأموال الزكوات والصدقات والكفارات والنذور والقرض الحسن ، وهذا يجعل الفرد أكثر أمنًا وطمأنينة، وأعظم شعوراً بالرضا والتضامن (2) .

(ب) حق المجتمع على الفرد :

وكما يُحَمَّل الإسلام المجتمع مسئولية الفرد،فإنه فى ذات الوقت يحمل الفرد مسئوليات تجاه مجتمعه ، وهذا نماذج وأمثلة :

1 – حث الإسلام الفرد على مراعاة آداب المجتمع وأخلاقه وأعرافه – فى إطار الشريعة – ثم حمله مسئولية الدعوة إليها وحمايتها والدفاع عنها .

2 – غرس الإسلام فى نفس الفرد روح المبادرة الخيرة فى بناء المجتمع،والتطوع الكريم من أجل حل مشكلاته والقضاء على كل عقبة تعترض طريق أبنائه نحو الرفاهية والرقى .

---

(1) الحجرات : 13 .

(2) انظر : من أجل انطلاقة حضارية شاملة ،ص180،د./ عبد الكريم بكار ،مصدر سابق ، بتصرف .

3 – حث الإسلام الفرد على أداء حق المجتمع كاملاً،سواء كان ماديًا أم معنويًا ، كمساعدة ضعيف أو كفالة يتيم أو إكرام ضيف ،أو إحسان إلى جاَر أو دفاع عن الوطن ضد كل عدوان ، أوغير ذلك مما كثرت به النصوص والآثار .

4 – حاول الإسلام الحفاظ على سلامة المجتمع وحيويته وأمنه من خلال مبدأ الدعوة والنصح ،والأمر والنهى لكى تتجدد عافية المجتمع، ويظل قويًا فتياً، يتصدى تلقائياً لكل عوامل الانحراف والانحلال [1] .

5 – هذه بعض الحقوق والواجبات المتبادلة بين الفرد ومجتمعه ، ولكل شئ مما ذكرت تكميلات وتفريعات، ولكن الذى يجب التأكيد عليه هو أن الإسلام جعل النهوض بالمجتمع المسلم من القربات التى يجب على المسلم ألا يحرم نفسه منها ،وهو الأمر الذى يحول المجتمع إلى وحدة واحدة وبنيان مرصوص يسند بعضه بعضاً فيقف بذلك صفاً واحداً فى مواجهة التحديات ويجتاز بهذا التماسك مايعترض طريقه من عقبات .

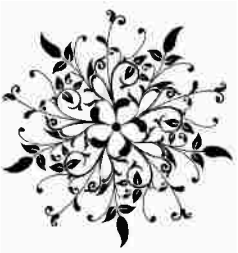

(1) انظر : المصدر نفسه ،ص181،بتصرف تام .

ضمانات السلامة في المجتمع

لما كان أمن المجتمع وسلامته إحدى الغايات التى يبتغيها الإسلام باعتبار المجتمع دائرة أوسع تشمل الفرد والأسرة ، وضع الإسلام عدة ضمانات ؛ ليؤمن من خلالها المجتمع ، ويضمن بها أن يسير فى الاتجاه الصحيح نحو الاستقرار والأمان ،هذه الضمانات تتم من خلال مايبذله الفرد للجماعة حوله من قيم رفيعة يعيش المسلمون فى ظلالها إخوة متحابين ،وحسبنا نص واحد فى هذا الإطار ،يجمل عدداً من هذه الضمانات التى تمثل صمام أمن للفرد والمجتمع على السواء، فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" **حق المسلم على المسلم ست** ".

قيل : ماهن يارسول الله ؟

قال :" **إذا لقيته فسلم عليه ،وإذا دعاك فأجبه،وإذا استنصحك فانصحه،وإذا عطس فحمد الله فشمته،وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه** " [1].

الضمانة الأولى :إلقاء السلام :

هذه الضمانة الأولى كما يوجه النص النبوى ، وإن للسلام لمغزى عميقًا ، ومعنى كبيراً،فهو المفتاح الأول إلى النفس الإنسانية ،فإذا سلمت على غيرك فقد أعطيته الأمان من نفسك، وامتد بينك وبينه جسر من المودة تزيدها اللقاءات عمقًا، وإن نفسًا آنستها بالسلام لتنعطف إليك انعطافاً هو انعكاس للسرور بك ، وكل هذا يزيد من فرص اللقاء والتعاون والتفاهم .

الضمانة الثانية :إجابة الدعوة :

ولا يكتفى الإسلام لتدعيم العلاقات بين أبناء المجتمع بالسلام العابر ، والتحية الخاطفة ، وإنما يعتبر الإسلام السلام إمساكاً بالخيط الذى من خلاله تتدرج العلاقات

---

(1)الحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحة عن أبى هريرة ك ، ك/ السلام . باب/ من حق المسلم على المسلم رد السلام ،ج14 ،ص143 .ط.المطبعة المصرية ومكتبتها .

وتنمو ،فإذن السلام مرحلة أولى تليها الدعوة ، والدعوة التى يقصدها الإسلام ليست دعوة إلى لهو محرم ـ أو لقاء ماجن ، أو إثم باطن أو ظاهر ، لافكل هذا غير وارد إطلاقاً ، وإنما هى الدعوة التى تتسامى بها الأخوة وترتقى بها المودة فى ظلال الإيمان ،فتعود على الفرد والمجتمع بنمو العلاقات ،وزكاة المودة والتعاون والرحمة .

الضمانة الثالثة : بذل النصيحة :

لقد جبلت النفوس على الشح والمنع ، وهذه حقيقة يؤكدها قوله تعالى: ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾[1] . ولما كان النصح بذلاً وعطاءً ، قد تبخل به النفس ، ومن هنا تأتى صعوبة النصيحة ،التى قد تقف دونها عقبات أخرى كخوف أومجاملة أو حسد ، فيجب على المسلم أن يتخطى كل هذه العقبات ؛ ليبذل النصيحة خالصة ،انطلاقًا من حرصه على أخ يوشك أن ينحرف ، ومجتمع يجب أن يبقى قويًا متماسكًا ضد كل عوامل الفوضى والانحلال .

الضمانة الرابعة :تشميت العاطس :

وتشميت العاطس واحد من المجالات التى يتأكد بها عنصر الأخوة بين أبناء المجتمع الواحد ، والعطاس نعمة من عند الله تعالى ، ووجه النعمة فيه مايأتى :

(أ) تخرج به الأبخرة الضارة من الجسم .

(ب) وبالعطاس يضطرب الجسم ويفقد توازنه،فإذا ذهب ، عاد إلى الجسم سكونه واستقراره، والحمد هنا لازم على النعمتين معاً: نعمة خروج البخار الضار ونعمة عودة الجسم إلى طبيعته، ومع الحمد يتدخل السامع فيدعو لأخيه بالرحمة ،تجاوباً معه ، ومشاركة له أن تخطى هذه المرحلة الحرجة بسلام .

الضمانة الخامسة :عيادة المريض :

إن الزيارة أدب عال من جملة آداب يأخذ بها الإسلام أبناءه ،وفى حال المرض تكون الزيادة ألزم ؛ لأنها عندئذ تحقق أهدافاً مقصودة ،يأتى فى مقدمتها شعور المريض أنه يعيش فى مجتمع يذكره ولا يهجره ، يعينه ولا يعين عليه ،وبذلك تحقق الزيارة ثمرتها فى

---

(1)النساء :128.

النفوس حيث ترفع للمريض روحه، وتغرس فى قلب الزائر وجدان الحب والرحمة ،إن المريض يعيش لحظة من لحظات ضعفه الإنسانى ، ومن الواجب أن يقف المجتمع إلى جانبه حتى يبرأ بفضل الله ، ثم يعود إلى مجتمعه سليماً معافىً ؛ ليكون عضواً صالحاً ولبنة قوية .

الضمانة السادسة :اتباع الجنائز:

إن الإسلام يتجاوز بمجتمعه حدود النفعية التى قد تحكم العلاقة بين حى وحى،حيث المصالح متبادلة، ومن ثم نجده يوجه المسلم إلى اتباع الجنائز ،حيث التعامل بين حى له مصالح ومنافع، وميت لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا أو ضراً ، والمجتمع هنا يبذل هذا الحق للميت خالصاً دون دخل ،وللآخرة لا للدنيا ،إن الإسلام هنا يسبق غيره حين يلزم المسلم بمثل هذا الحق ؛ ليغرس فى وجدان الفرد أن المجتمع لن يتركه أبدًا ، ولن يتخلى عنه حتى بعد موته ، وهو ما يجعل ولاء المسلم خالصاً لمجتمع يكفيه حياً، ويكفله ميتاً [1] .

بهذه الضمانات – وغيرها كثير – يتحقق فى أرجاء المجتمع مايطلبه له الإسلام من وحدة فى الصف ، وتراص وتماسك يشعر معه الجميع بالأمن ويستروح فيه الكل ظلال الاستقرار ، وتلك مقومات المجتمع المثالى فى نظرة الإسلام وتصوره .

(1)انظر هذه الضمانات الست فى :نحو مجتمع بلا مشكلات ص59ومابعدها .د./ محمود محمد عمارة. ط1،سنة 1997م،مكتبة الإيمان ،بتصرف .

خصائص المجتمع المسلم

إن المجتمع المسلم مجتمع متميز ؛ليس كغيره من المجتمعات ، والإسلام يريد لمجتمعه أن يكون خالص النشأة والتوجه والسلوك والمنهجية ، ومن هنا يضع له من القواعد والأسس مايجعله فريداً، يتميز بخصائص مختلفة، يكون بها نسيج وحده بين المجتمعات ، وهذا ضوء على أهم وأبرز الخصائص التي يتميز بها المجتمع المسلم :

1 – **الحاكمية فيه لله سبحانه:**

إن المجتمع المسلم ليس مجتمعًا أرضيًا ،يستمد تصوراته وسلوكياته من وضعيات أرضية تصيب وتخطئ، وإنما هو مجتمع يتلقى عن الله سبحانه،ويستمد من وحيه ما ينظم عيشه على الأرض ،إنه بوضوح مجتمع يرد حاكميته إلى الله لا إلى البشر،الأمر الذى يمنح أفراده حرية تامة ، وإرادة غير محدودة،حيث يتحرر الناس من الخضوع لبعضهم ، فلا كرامة لمجتمع يتخذ الناس فيه بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، والمجتمع المسلم وحده هو الذى يمنح إنسانه الكرامة ،وأفراده الحرية (**فهو وحده المجتمع الذى يهيمن عليه إله واحد، ويخرج فيه الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وبذلك يتحررون التحرر الحقيقى الكامل الذى ترتكز عليه حضارة الإنسان ، وتتمثل فيه كرامته، كما قدرها الله له ،وهو يعلن خلافته فى الأرض عنه، ويعلن كذلك تكريمه فى الملأ الأعلى**) [1] .

2 – **التجمع فيه على أساس العقيدة :**

إن العقيدة هى الرابطة الكبرى،والعروة الوثقى التى تشد أفراد المجتمع إلى بعضهم ، ثم تأتى بعدها روابط أخرى ،لكنها جميعًا تصنف فى مرحلة ثانية بعد العقيدة ، والتجمع على العقيدة يؤكد أن المجتمع المسلم ليس مجتمعًا قومياً ولا إقليميًا ، وإنما هو مجتمع دين وإيمان ، رغم أنه قد توجد فيه أجناس وألوان وأوطان مختلفة ، ولكنها فوارق تذوب وتتلاشى أمام وحدة العقيدة ، ومعنى قيام هذا المجتمع على العقيدة (**أنه**

(1)معالم في الطريق ،ص108 ،سيد قطب ،ط بدون بيانات .

يقوم على احترام هذه العقيدة وتقديسها ،ويعمل على تثبيتها فى العقول والقلوب، ويربى ناشئة المسلمين عليها ، ويرد عنها أباطيل المفترين، وشبهات المضلين ، ويجلى فضائلها وآثارها فى حياة الفرد والمجتمع عن طريق أجهزته التوجيهية التى تؤثر فى سير المجتمع ،من المساجد والمدارس والصحافة والإذاعة والتلفزيون والمسرح والسينما والأدب بكل فنونه)[1] .

فالعقيدة إذن هى التى تجمع بين أبناء المجتمع المسلم ، وتصهرهم فى بوتقة واحدة ، وتصفهم أمام التحديات والنوازل صفًا واحدًا وبنيانًا مرصوصًا.

3 – **الإنسانية قيمته العليا** :

والمجتمع المسلم – كذلك – مجتمع إنسانى ، والإنسانية هى القيمة العليا التى يلتقى عليها المجتمع ،حيث يشعر كل إنسان بإنسانيته ، ويجد الاحترام والتكريم لمجرد كونه إنسانًا ،دون النظر إلى اعتبارات أخرى لا دخل للإنسان فيها ،إن الإنسان فى التصور الإسلامى مخلوق مكرم ،خلقه الله سبحانه واستخلفه، ومن هنا يبقى الإنسان مركز الدائرة ومحور الكون الذى يعيش فيه ، وهذه هى نظرة المجتمع المسلم إلى الإنسان **(وحين تكون القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية التى تقوم عليها هى السائدة فى مجتمع ، يكون هذا المجتمع متحضراً ،و القيم الإنسانية والأخلاق الإنسانية ليست مسألة غامضة مائعة وليست كذلك قيمًا متطورة متغيرة متبدلة لا تستقر على حال ولا ترجع إلى أصل.. إنها القيم والأخلاق التى تنمى فى الإنسان خصائص الإنسان التى ينفرد بها دون الحيوان ، والتى تغلب فيه هذا الجانب الذى يميزه ويفرده عن الحيوان ، وليست القيم والأخلاق التى تنمى فيه وتغلب الجوانب التى يشترك فيها مع الحيوان)**[2] .

إن النزعة الإنسانية إذن من أبرز خصائص المجتمع المسلم ، وهى النزعة التى يحميها الإسلام ، ويحرسها ، ويضع من الضوابط والأسس مايدفعها دائما إلى الأمام حتى لاتتراجع إلى الوراء أو تصاب بالضمور .

---

(1)ملامح المجتمع المسلم الذى ننشده،ص23،د./ يوسف القرضاوى ،ط1،سنة 1993م .

(2)معالم فى الطريق / ص110 ،سيد قطب ،مصدر سابق .

4 – **الأسرة قاعدته الأولى :**

ومن خصائص المجتمع المسلم كذلك ،أن الأسرة تمثل قاعدة هامة فى بنائه، الأسرة بما لها من أهمية ، وبما يناط بها من أدوار ، وبما تحمله من مسئوليات وتبعات فى سبيل الإعداد والتربية ، وقد واجهت الأسرة فى تاريخها – ولا زالت تواجه – تحديات خطيرة ، وعقبات تستهدف استئصالها أو على الأقل استبدال أشكال أخرى بها ، وقد أخذت تلك التحديات صوراً شتى ، كالإعراض عن الزواج ،أو النفور من الإنجاب ، أو الاعتماد على الأسرة الوحيدة الجنس، وهى التى تتكون من رجلين أو امرأتين ، أو غير ذلك من التحديات التى تواجه الأسرة[1] ، أما الإسلام فينظر إلى تجمع الأسرة نظرة أبعد وأعمق، فهو ينظر إليها باعتبارها البيئة التى تنشأ وتنمو فيها القيم والأخلاق الإنسانية ممثلة فى الجيل الناشئ، الذى يستحيل أن ينشأ نشأة صحيحة فى أى محضن آخر،إن الأسرة فى الإسلام تؤدى (**وظيفة إنسانية ليست اللذة غايتها وإنما هى إعداد جيل إنسانى بخلف الجيل الحاضر فى ميراث الحضارة الإنسانية التى يميزها بروز الخصائص الإنسانية ، ولا يمكن إعداد جيل يترقى فى خصائص الإنسان ويبتعد عن خصائص الحيوان إلا فى محضن أسرة محوطة بضمانات الأمن والاستقرار العاطفى**) [2] .

وهذا هو مايريده الإسلام ،بل ما يحققه فى واقع المجتمعات ،من خلال بناء الأسرة ، ووضع الأسس والضمانات التى ترعى ثبوتها وتحفظ استقرارها .

5 – **الخلافة عن الله مهمته :**

والمجتمع الإسلامى – أخيراً – مجتمع له مهمة محددة ، ورسالة واضحة ،فهو مجتمع يقوم بمهام الخلافة عن الله فى أرضه على وجهها الصحيح ،فعبوديته لله خالصة، وشريعة الله هى التى تحكم حياته ، وتنظم شئونه ، وأخلاق الإسلام وقيمه هى وحدها التى تحدد سلوكه وتحكم تصرفاته ، وبعد هذا كله ينطلق هذا المجتمع ،ممثلاً فى أفراده؛ ليتعرف على سنن هذا الكون ونواميسه؛ ليستخدمها فى ترقية الحياة؛ وبهذه النظرة الشاملة يواءم هذا المجتمع بين حضارة الروح والمادة على السواء ، وهو (**حين ينهض**

(1)انظر :الإسلام حضارة الغد ،ص57 ومابعدها،د./ يوسف القرضاوى ، مصدر سابق ، بتصرف .
(2)معالم فى الطريق ،ص114 ،سيد قطب ، مصدر سابق.

بالخلافة فى الأرض على عهد الله وشرطه، ويصبح وهو يفجر ينابيع الرزق ، ويصنع المادة الخام ، ويقيم الصناعات المتنوعة ، ويستخدم ماتنتجه له كل الخبرات الفنية التى حصل عليها الإنسان فى تاريخه كله... حيث يصبح وهو يصنع هذا كله ربانياً،يقوم بالخلافة على هذا النحو عبادة لله ،يومئذ يكون هذا الإنسان كامل الحضارة ،ويكون هذا المجتمع قد بلغ قمة الحضارة ،فأما الإبداع المادى وحده فلا يسمى فى الإسلام حضارة ،فقد يكون وتكون معه الجاهلية) [1] .

إن أهم مايميز العملية الحضارية لأمة عن غيرها ، هى القاعدة التى تقوم عليها ، والقيم التى تحكمها، ومن هذا المنطلق يختلف المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات ، وينفرد فى سماته وخصائصه .

كانت هذه أبرز وأهم الخصائص التى تجعل المجتمع المسلم نسيج وحده، وتميزه عن غيره من التجمعات البشرية ، فهو مجتمع يدين بالولاء والحاكمية لله ، ويدرك أن العقيدة هى أوثق عراه، ويجعل من الإنسانية قيمته العليا التى تحكم وجهته وتحدد منطلقاته ، ويرى فى الأسرة قاعدته التى من خلالها يتشكل ويتكون، وهو مجتمع يؤمن – أخيراً – أن له رسالة عامة وهامة ، وهى الاستخلاف عن الله فى الأرض ، بمعنى أنه يقوم بمهام الخلافة لإعمار الأرض وفق منهج الله وحده لا مناهج البشر .

(1) المصدر نفسه ،ص115 .

ومع ما تقدم من خصائص للمجتمع المسلم ،هناك سمات وصفات عامة وهامة ، تجعل هذا المجتمع واضح القسمات محدد الملامح،وإذا كانت الخصائص السابقة تمثل المكونات الرئيسة لهذا المجتمع ، فإن هذه الصفات تكمل الصورة وتزيدها بهاء ووضوحاً كذلك ، وهذا ضوء على أبرزها :

1- **مجتمع أخوة :**

فهو مجتمع تقوم العلاقة بين أفراده على أساس من أخوة الإيمان وروابط التقوى ، يقول سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [1] .وأولى مراتب هذه الأخوة : سلامة الصدر من الحسد والبغضاء، وأوسطها أن يحمل المسلم لأخيه من الود مثل مايحمله لنفسه،أما أعلى مراتب الإخاء فهى الإيثار ،والإيثار منزلة تقترب بالمسلم من عالم الملائكة ، وهو القيمة العليا التى تطبع المجتمع المسلم بطابع مميز يصير به بين المجتمعات البشرية كالقمربين الكواكب ، يقول الله تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [2] .

2- **مجتمع تراحم :**

وحين تتمكن الأخوة فى النفس فإن لها فى واقع المجتمعات ثمرات طيبة ،حيث تؤتى الأخوة أكلها تعاطفاً وتراحماً، وليس بمجتمع مسلم ، ذلك المجتمع الذى تموت فيه المشاعر ، وتتبلد الأحاسيس ولا يكاد يشعر أفراده ببعضهم **(إن المجتمع يكون مجتمعًا عن جدارة بمقدار ما يحس أفراده ببعضهم ، وعلى مقدار ما يجرى فيه من أنواع المراعاة والمعاونة ، وعلى مقدار مايسوده من التعاطف والحب والشفقة ، إن فى توجيهات النبى ﷺ وسلوكه مايدل على أن التفكير فى راحة الآخرين وسعادتهم**

(1) الحجرات : 10 .
(2) الحشر : 9 .

ينبغى أن يحتل جزءاً رئيساً من اهتمامات المسلم ووقته ووجهده) [1] .

إن المجتمع المسلم بالتراحم يتماسك بناؤه ، وتتشابك لبناته، ويقوى بعضها بعضاً، ويصبح بذلك صفًا واحدًا ، وبنيانًا مرصوصًا فى وجه التحديات والعقبات .

3- **مجتمع متعاون :**

والمجتمع المسلم كذلك مجتمع متعاون ، والتعاون هو المظهر العملى للإخاء ، ولذا حث الإسلام أبناءه داخل المجتمع على التعاون والتماسك فى دائرة البر ، وذلك (**حتى تقوى الجماعة وتنهض بمسؤلياتها ،فالبحر من قطرة والجبل من ذرة ، ويد الله مع الجماعة)**[2] يقول سبحانه مخاطباً وموجهاً الناس فى هذا المجتمع : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [3] .

4- **مجتمع تكافل :**

والمجتمع المسلم كذلك مجتمع متكافل متضامن ، ينهض فيه القوى بالضعيف ، ويعود الغنى بشئ مما رزقه الله على الفقير ، ويجد فيه العاجز والمسكين حداً أدنى للعيش فلا يضيع فيه ، والتكافل الإسلامى يستوعب جوانب الحياة كلها ، فهو تكافل مادى وأدبى ، وقد أقام الإسلام لتحقيق هذا التكافل حُراَّسا ثلاثة :

الأول : من داخل النفس وهو الضمير المؤمن .

والثانى : من داخل المجتمع وهو الرأى العام المسلم .

والثالث : من قبل الدولة وهو القانون والسلطة[4] ، هؤلاء حراس ثلاثة يقومون على حراسة التكافل والتضامن داخل المجتمع المسلم ؛ ليتم بالصورة التى تضمن للكل العيش الآمن والحياة المستقرة الهادئة .

5- **مجتمع تناصح :**

والمجتمع المسلم كذلك مجتمع تناصح ، والتناصح نوع من التكافل الأدبى يجعل

---

(1) مدخل إلى التنمية المتكاملة ،ص267،د./ عبد الكريم بكار ،ط1 ،سنة 1999م ،دار القلم .

(2) عناصر القوة فى الإسلام ،ص186، سيد سابق، الفتح للإعلام العربى ، بدون.

(3) المائدة : 2 .

(4) انظر : الإسلام حضارة الغد ،ص187،د./ يوسف القرضاوى ، مصدر سابق، بتصرف.

كل مسلم مسؤلاً عمن حوله من أبناء مجتمعه، فإذا هو يوجههم برفق، وينصح لهم بلين ، ويوصيهم بالحق والصبر، وفى ذات الوقت يقبل منهم النصيحة ويستقبل التوجيه بنفس منفتحة، وقلب عطوف محب، وكل إنسان مهما كان موقعه،فهو يفتقر أحياناً إلى النصح ، ويحتاج إلى التوجيه ، ومن هذا المنطلق جعل القرآن الكريم التواصى بالحق والصبر من تمام الإيمان ، وموجبات النجاة فى الدنيا والآخرة يقول سبحانه :

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ (1) .

6- **مجتمع طهارة :**

والمجتمع المسلم كذلك مجتمع نظيف، يتسم بالطهارة فى مظهره وفى مخبره على السواء ، فهو يربى أبناءه على العفة والإحسان ، ويحرم عليهم الإثم والفواحش والعدوان ، ويدفعهم دوماً إلى الترقى ، ويدفع عنهم أسباب الهبوط والتدنى، ومن هذا المنطلق هدد الله سبحانه الذين يريدون أن يغيروا هذه المعالم الربانية للمجتمع المسلم بالعذاب الأليم ، فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (2) .

يقول سيد قطب رحمه الله:(**إن هؤلاء يعملون على زعزعة ثقة الجماعة المؤمنة بالخير والعفة والنظافة، وعلى إزالة التحرج من ارتكاب الفاحشة ، وذلك عن طريق الإيحاء بأن الفاحشة شائعة فيها ، بذلك تشيع الفاحشة فى النفوس ، ولتشيع بعد ذلك فى الواقع ، من أجل هذا وصف الذين يرمون المحصنات بأنهم يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا وتوعدهم بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة**) (3) .

7- **مجتمع عدالة :**

ومن أبرز صفات المجتمع المسلم كذلك أنه مجتمع عدالة ، فالعدل فريضة الفرائض فيه ،به يطمئن الناس على حقوقهم ، ويستقر المجتمع من قلق ، ويأمن من خوف ، ومن هنا

---

(1) العصر : 1-3.

(2) النور :19 .

(3) الظلال ،ج4،ص2503 ، مصدر سابق .

كان العدل أبرز الدعائم التى وضعها القرآن الكريم حفاظاً على كيان المجتمع؛لأن قيمة العدل هى التى (**تشيع الطمأنينة ، وتنشر الأمن وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوى الثقة بين الحاكم والمحكوم،وتنمى الثروة ، وتزيد الرخاء، وتدعم الأوضاع فلا تتعرض لخلخلة أو اضطراب، ويمضى كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته فى العمل والإنتاج وخدمة البلاد دون أن يقف فى طريقه ما يعطل نشاطه أو يعوق نهوضه**)[1] .

وحين أمر الإسلام بالعدل كان يقصد العدل الذى يشمل كل مجالات الحياة ، بحيث يصل لكل إنسان حقه فى نفس الوقت الذى يؤدى فيه ما عليه من واجب ،وبهذا تستقيم أمور المجتمع وتستقر أحواله وأوضاعه.

8- **مجتمع شورى** :

ومن أبرز صفات المجتمع المسلم – أخيراً – أنه مجتمع حوار من أجل الوصول إلى الحق فهو مجتمع شورى ، يستطيع أن يحل مشكلاته عن طريق الحوار والتفاهم ، وقد كان الناس فى الجاهليات القديمة يستخدمون القوة وسيلة وحيدة لحل المشكلات ، وعليه كانت الحروب تقوم بينهم فتأكل أخضرهم ويابسهم لأتفه الأسباب، ثم جاء الإسلام فكان له قول آخر هو أرقى وأعلى ، حيث وضع دعائم الحوار ،وأسس مبدأ الشورى ، وصولاً للحق وتدعيماً له ،ومن هنا نجد (**أن أصحاب الموقف المتطابق مع الحق والعدل يجدون فى الحوار والتفاهم والحلول السلمية السلاح الأقوى لتدعيم موقفهم، وبمقدار بعد الدول والجماعات والأفراد عن الحق يكون احتياجها لاستخدام القوة والبطش والانغلاق**)[2] .

هذه هى أهم وأبرز صفات المجتمع المسلم ، وهى صفات تميزه عن غيره فى تصوره وسلوكه ، وفى مصدره وغايته، ويكفيه تميزًا أنه يقوم ابتداء على أساس من عقيدة جاءت من السماء ولم تنبت فى الأرض، فإذا قام هذا المجتمع واستوت أركانه، فقد اكتملت إحدى الحلقات المهمة فى بناء الإنسانية بعد الفرد والأسرة ، ومن خلال هذه الحلقات الثلاث يتكون بناء إنسانى واحد وراشد يحرص الإسلام على وجوده ، وهى الحلقة الواسعة والدائرة الأكبر فى الوجود الإنسانى .

---

(1) عناصر القوة فى الإسلام ، ص147 ، سيد سابق ، مصدر سابق .

(2) مدخل إلى التنمية المتكاملة ، ص272 ، د./ عبد الكريم بكار ، مصدر سابق .

رابعًا نشر الإسلام في العالم

من خلال العرض السابق يتضح أن عناية الإسلام بالحياة الإنسانية تتدرج في حلقات يسلم بعضها إلي بعض ،بدءًا بإعداد الإنسان الصالح ، ثم تكوين الأسرة المستقرة ، ثم إخراج المجتمع الآمن ،وهذه الحلقات الثلاث تسلمنا أخيرًا في تسلسل رائع وترتيب بديع إلي إنسانية واحدة مهتدية وبشرية راشدة مستقيمة ،حيث يسود السلام وينتشر الأمن في ضوء نظرة الإسلام الكلية للحياة والكون والإنسان ،يقول الشيخ سيد قطب رحمه الله :(**إن النظرة الكلية للإسلام عن الحياة تهدينا إلي أنه بعد الحياة الإنسانية وحدة،وحدة من ناحية الزمن متماسكة الحلقات ، متدرجة الخطوات،متضامنة الأجيال ،متعاقبة الأطوار ..ووحدة من ناحية الفطرة متماسكة النوازع والأشواق ،ممتزجة المادة والروح قابلة للارتفاع إذا حسن توجيهها وتزكيتها ،مستعدة للهبوط إذا ساء التوجيه والقيادة،** ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [1].

إن الإسلام ومن خلال نظرته الجامعة والكلية،يعتبر البشرية وحدة واحدة ،ويجعل الدين واحدًا،والمؤمنين أمة واحدة،وبذلك كان الإسلام هو الصورة الأخيرة والمثلي لدين الله عزوجل،التي من خلالها يتبلور الهدف المنشود،وهو الوصول إلي إنسانية واحدة،وبشرية متآخية متعاونة علي البر،مرصوصة صفًا واحدًا في وجه الظلم والإثم والعدوان.

أسس وقواعد من أجل إنسانية وحدة :

إن الإسلام كي يحقق غايته المنشودة ،وهدفه الأعلي في إيجاد إنسانية واحدة يسودها الأمن ويظللها الاستقرار،وكي يصل بالإنسانية كلها إلي مرحلة يشعر فيها الإنسان بأخيه الإنسان ،وإن اختلفت الأجناس والأعراق والألوان ،إن الإسلام كي يحقق

(1) السلام العالمي والإسلام،ص167،سيد قطب ط8،سنة1988م،دار الشروق،والآيات من سورة الشمس:7-10.

ذلك،ويصل بالإنسانية إلي هذه المرحلة ،قد وضع عددًا من الأسس والمبادئ التي تضمن للحياة الإنسانية هذا المستوي الكريم من العيش،وهذا ضوء علي أبرز هذه المبادئ:

1 – **أن رب الناس واحد:**

وهذا المبدأ وحده كان كفيلًا بتذويب الفوارق،وإزالة كل أسباب الشقاق والخلاف بين البشر ،فالله سبحانه- في التصور الإسلامي الراقي- هو:رب الناس،ملك الناس،لارب جنس ولا طائفة ولا أرض،وهذه هي الألوهية الحقة في أكمل صورها،وأروع صفاتها ،كما يصورها الوحي الخاتم ،وكما تؤمن بها الأمة الأخيرة ،وإذا كانت بعض الرسالات السابقة قد حرفت،وصبغها التحريف بالعنصرية البغيضة حتي اتخذ أتباعها إلهًا خاصًا بهم هو رب إسرائيل-كما عند اليهود-فإن الإسلام شئ آخر،إنه يدعو الناس إلي عبادة رب واحد هو رب العالمين،يقول سيد قطب رحمه الله: (**وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعًا هي مفرق الطريق بين النظام والفوضي في العقيدة؛لتتجه العوالم كلها إلي رب واحد،تقر له بالسيادة المطلقة،وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة،وعنت الحيرة كذلك بين شتي الأرباب..ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم كلها إلي رعاية الله الدائمة، وربوبيته القائمة،وإلي أن هذه الرعاية لا تنقطع أبدًا ولا تفتر ولا تغيب**)[1]. ومادام الرب واحدًا فهذا أدعي إلي الوئام والتعاون؛لأنهم جميعًا يشتركون في منزلة العبودية،وعليه فلا يجب أن يبغي بعضهم علي بعض،ولا أن يذل بعضهم بعضًا،ولا أن يستعبد بعضهم بعضًا في ظلال الإيمان بأن رب الجميع واحد هو رب العالمين.

2 – **أن أصل الناس واحد :**

وإذا كان الناس جميعًا يشتركون في العبودية لرب واحد، فإنهم كذلك أبناء لأب واحد هو آدم عليه السلام ،وهذه هي الدعامة الثانية التي يقيم الإسلام عليها الوحدة الإنسانية ،وهي دعامة لا تقل إيحاء عن سابقتها ،ومادام الأصل واحدًا فإن اختلاف

(1) الظلال ،ج1 ،ص43 ،مصدر سابق.

الألوان وتباين الألسنة وتباعد الأوطان ،وتفاوت الطبقات ،كل ذلك لا يبرز الخلاف والنزاع أو الحرب والصراع؛لأن التنوع هنا لا يبرر كونه آية من آيات الله في الخلق والإبداع ،أما الحقيقة الكبر ي التي تظلل هذا الخلق ،والتي يؤكد عليها الإسلام،فهي وحدة الأصل،يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾[1] وهو ذات المعني الذي أشار إليه النبي ﷺ في حجة الوادع بقوله يخاطب الإنسانية في شخص من شهد هذا القاء منهم :"**أيها الناس إن ربكم واحد،وإن أباكم واحد،كلكم لآدم وآدم من تراب**"[2] هذه النصوص الموحية والمعبرة تؤكد الحقيقة الكبيرة في هذا الدين؛حقيقة أن الناس جميعًا مشتركون في أب واحد الأمر الذي يمثل منطلقًا واضحاً نحو إنسانية واحدة،تقوم علي التعاون والتكامل ،والسلام والوئام.

3 – **أن الناس جميعًا إخوة:**

وإذا كان الناس جميعًا أبناء لأب واحد،فإن مقتضي ذلك أنهم جميعًا إخوة، ومادامو إخوة فإن الأصل الذي يحكم التعامل فيما بينهم هو التعاون والتبادل والعمل المشترك من أجل حياة يملؤها السلام وتظللها المودة والوفاق ،إن الشعور بتلك الأخوة يمثل معلمًا أصيلاً في نظرة المسلم إلي الناس من حوله،وتدعم هذا الشعور وتقويه نصوص الوحي،ومن أروع ما جاء يؤكد هذا الشعور،قول النبي ﷺ دبر كل صلاة: "**اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه،أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك،اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه،أنا شهيد أن محمد عبدك ورسولك ،اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه،أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة** "[3]. فهذا النص الرائع يتضمن شهادات ثلاث: (**أولاها: شهادة لله بالواحدنية،وثانيها:شهادة لمحمداً بالعبودية والرسالة،وثالثها:شهادة للعباد كلهم أنهم إخوة،فهي أخوة إنسانية عامه، والأخوة**

---

(1) النساء:1.

(2)الحديث أخرجه الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد .ج8،ص84،عن أبي سعيد الخدري ط ،ط.مكتبة القدسي،القاهرة.

(3) النساء الحديث أخرجه أبو دواد في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ك/ الأدب،باب/ ما يقال عند النوم ج4 ص313.

تتكون من عناصر ثلاثة:المحبة والمساواة والتعاون)[1]،وإذا كانت أخوة الإيمان هي أسمي أنواع الأخوة ،فإن هذا لايمنع من وجود أنواع أخري،كأخوة الأرض وأخوة البشر عامة،وهي التي أشار إليها الحديث السابق.

4-أن الإسلام دعوة للسلام:

إن السلام ليس غريبًا عن طبيعة هذا الدين،بل هو قيمة مستقرة في ضمير المسلم ، وتجري منه مجري الدم في العروق،وقد عمق الإسلام هذا المبدأ حتي صار جزءًا من التكوين النفسي والعقلي للمسلم ،وهذه إشارات تؤكد هذه الحقيقة:

(أ) لفظ الإسلام -عنوان هذا الدين-مأخوذ من مادة السلام،فالسلام والإسلام شئ واحد.

(ب) أن الله عزوجل من أسمائه في الإسلام:السلام.

(ج) أن حامل الرسالة الأخيرة هو رسول السلام؛لأنه رحمة للعالمين.

(د) والجنة التي أعدها الله سبحانه للصالحين من عباده هي دار السلام[2].

(هـ) وحديث أهل الجنة كله سلام[3]

(و) وتحية المسلمين فيما بينهم هي السلام.

(ز)وتحية الملائكة للمؤمنين في الجنة هي السلام [4].

(ح) وليلة القدر التي هي أعظم ليلة في حياة المسلم وفي تاريخ الإنسانية هي ليلة السلام[5].

هذه الإشارات-وغيرها كثير- تؤكد الحقيقة الكبرى في هذا الدين:حقيقة أن الإسلام دين السلام،به جاء وإليه يدعو، ومن أجله-أيضاً يحارب إذا لزم الأمر،فتكون الحرب هي آخر الدواء كما تقول العرب.

---

(1) مدخل لمعرفة الإسلام ،ص274،د/ يوسف القرضاوي،مصدر سابق.

(2) يقول الله تعالي: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾الأنعام:127.

(3) يقول الله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾الواقعة :25-26.

(4) يقول الله تعالى : ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ الرعد :23-24.

(5) يقول الله تعالى : ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ القدر:5 ، وانظر فى كل ذلك:عناصر القوة فى الإسلام .

5 –**أن الحرب-أحيانًا-ضرورة:**

إذا كان السلام يمثل جزءًا من عقيدة المسلم-كما سبق-فإن الحرب تمثل كذلك في حسه شرًا مستطيرًا لا بد منه أحيانًا لدفع ظلم ،أوإحقاق حق وإبطال ضده، والإسلام في كل ذلك يتدخل ليحدد للمسلم لماذا يحارب؟

وكيف يحارب؟

وما هي الأخلاقيات التي يجب أن يلزمها في أثناء حربه،كل هذا يحكمه الإسلام بمعالم واضحة على النحو التالي:

أولاً: عندما تتأكد الأمة الإسلامية من نية العدوان لدى أمة من الأمم ضدها، فإن عليها أن تستعد وجوباً لتلك المواجهة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1].

ثانيًا: إن كف العدو عن فكرة العدوان وعدل عن الحرب، وجب على الأمة المسلمة عندئذ أن تجنح إلى السلم: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2] .

ثالثًا: فإن أبى العدو إلا الحرب فجزاء سيئة بمثلها، ولا بد من المواجهة القوية لردعه، ورده عن عدوانه﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾[3].

رابعًا: إن بدأت الحرب وجب تخفيف ويلاتها قدر الاستطاعة عن طريق المناورات وإحباط مكايد العدو وإفساد خططه"الحرب خدعة"[4]

خامساً: أثناء المواجهة يجب على المسلمين أن يدركوا أنهم يخوضون حربًا للدفاع عن النفس والضعفاء والمضطهدين، فليضيقوا نطاقها ما استطاعوا لئلا تؤخذ الأمة المعتدية بجريرة جيشها.

سادسًا:إذا اشتدت المعركة وحمى الوطيس فعلى المسلمون أن يثبتوا، ويستمدوا العون من الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[5].

---

(1) الأنفال:60.

(2) الأنفال :61.

(3) الأنفال:60.

(4) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه،عن أبي هريرة ط،ك/ الجهاد،باب/ جواز الخداع في الحرب، ج2 ، ص272.

(5) الأنفال:45.

سابعًا: إذا رغب المحاربون فيه الصلح عند اشتداد المعركة وجب قبوله منهم،و لو أشرفنا على النصر، ولا بد من الوفاء لهم بالعهد،فإن

بدا منهم غدر أو خيانة نبذ إليهم عهدهم وأخبروا بذلك،﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[1] .

ثامناً : إذا انتهت المعركة باستسلام العدو فلا عدوان بعد ذلك على الأعراض ، ولا تخريب للمدن ، ولا اندفاع وراء نيران الثأر والعدوان.

تاسعاً :والأسرى بعد ذلك لا يجوز تعذيبهم ولا تعريضهم للجوع والمسغبة .

عاشراً : وأخيراً يجب أن تحترم عقائد المغلوبين ودماؤهم وأموالهم ومعابدهم ، ولهم حماية الدولة وحقوق المواطنة [2].

تلك هى الحرب فى الإسلام نظامًا وأهدافًا ، وهذا هو الإطار الأخلاقى الذى تتم خلاله ، والبشرية اليوم أحوج ماتكون لهذا النظام ؛ ليضع عنها إصرها والأغلال ، فى ظل التنافس البغيض والحقد القاتل ، والصراعات التى لا تنتهى .

كانت هذه أهم المبادئ والأسس التى أرساها الإسلام لتحقيق دعوته إلى إنسانية واحدة ، الناس فيها إخوة ، والكل فيها سواء ، يعيشون الأمن ويستشعرونه نعمة من الله عز وجل ، فيشكرون ربهم على نعمته ؛ لتكون الزيادة وصدق الله العظيم : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[3] .

(1) الأنفال:58.

(2) انظر فى ذلك : هذا هو الإسلام جـ2،ص27 ومابعدها،د- مصطفى السباعى ،ط2،سنة 1988م ، المكتب الإسلامى ، بتصرف.

(3) إبراهيم: 7.

النزعة الإنسانية في الرسالة الأخيرة

إن الإسلام ليس ديناً مغلقًا ، وأمة الإسلام – كذلك – ليست عنصرية ضيقة ،أو قومية مغلقة ، ولكن الإسلام باعتباره كلمة الله الأخيرة إلى البشر ، يمثل دعوة عالمية ، وأمته هى أمة رسالة ورثت عن نبيها مهمة إبلاغها للناس ، وتوصيلها إلى العالمين ، وعالمية الدعوة تقتضى أول ما تقتضى أن تشتمل على أسس ومبادئ مهمة توفر الخير والعدل والرحمة للناس كل الناس ، وهو ما حرص الإسلام على تأكيده ، بل تقديمه للبشرية من خلال المبادئ التى تمثل رحمة بالناس، وتتجلى من خلالها النزعة الإنسانية واضحة فى مبادئه وشريعته و ذلك على النحو الآتى :

1 – **تحرير الإنسان من كل عبودية :**

هذا أول وأبرز مظاهر النزعة الإنسانية فى الإسلام، الحرية : تلك الكلمة التى تعادل كلمة الحياة وتضارعها ، فقد حرر الإسلام الإنسان من كل عبودية حين أسقط كل الآلهة المزيفة سواء من البشر أو من الحجر أو من الشجر ، والطريف أن الإسلام بحكمته وربانيته لم يمسك فأساً؛ ليحطم هذه الأصنام ، وإنما حطم الشرك فى عقول المشركين وقلوبهم ،فارتفعت على أثر ذلك الجباه فلم تعد تذل إلا لرب واحد ، وتحررت القلوب من الخوف فلم تعد تخاف إلا بارئها، ولم تعد تخشى سوى فاطرها، كل هذه المكاسب حققها الإسلام من خلال نصوص الوحي التي تثبت الوحدانية لله وحده مثل قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1]. لقد كانت هذه الدعوة إيذانًا بميلاد مجتمع جديد، وبشرية جديدة قوية ومتحررة، وفي هذا الإطار لا بد أن نتوقف أمام ما حدث بين ابن عمرو بن العاص حاكم مصر وواحد من الأقباط الرعايا، حيث ضرب الأول الأخير؛لأنه تفوق عليه في سباق جري بينهما، فرفع المضروب أمره إلى الخليفة عمر، فاقتص له، هذا الحادث يحلو

(1) الأنبياء: 25.

لكثير من الناس أن يستدل به على عدل عمر، وهذا لا بأس به ولكن الأمر لا يتوقف عند ذلك، وإنمل يصور(**عمق المد الإسلامي التحرري،فليست المسألة فقط أن عمر عادل، وأن عدله لا تتطاول إليه الأعناق في جميع الأزمان، ولكن المسألة بعد ذلك أن عدل عمر المستمد من الإسلام ومنهجه ونظامه، خلق في الأرض تيارًا جارفاً محرراً مكرمًا للإنسان بصفته (الإنسان) هذا المستوى الرفيع لم ترتفع إليه البشرية قط هذا صحيح، ولكن هذا الخط العريض الذي خطه الإسلام في كرامة الإنسان وحريته وحقوقه تجاه حكامه وأمرائه، قد ترك في حياة البشرية آثارًا لا شك فيها، وبعض هذه الآثار هو الذي يدفع بالبشرية اليوم إلى إعلان حقوق الإنسان**) [1].

2 – **المساواة بين الناس جميعًا:**

ومن مظاهر الإنسانية في الرسالة الخاتمة كذلك–التي تعد إحدى الدعائم القوية في سبيل تكوين إنسانية واحدة–تلك المساواة الرائعة التي جاء بها الإسلام ودعا إليها، وحققها في واقع الناس بصورة غير مسبوقة ولا ملحوقة، لقد سوَّى الإسلام بين الناس جميعًا، ومن ثم فإن اختلاف الأجناس والألوان ليس مبررًا للتفاضل، وإنما ميزان التفاضل يعود إلى المبدأ الرباني الخالد: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [2]. هذا المبدأ الذي لم يتوقف عند حد النظرية أو الشعار، وإنما وجد طريقه إلى حيز التنفيذ بمنتهى التلقائية والبساطة كالنهر يجري من المنبع إلى المصب، وقد أكدت شعائر الإسلام هذا المبدأ، فإذا الكل في المسجد سواء وفي الصيام سواء وفي الحج سواء، وتلك هي المبادئ التي يسعد بها الإنسان وترتفع بها الإنسانية(**إن الحضارة التي لا يستعلى فيها عرق على عرق، ولا لون على لون، هي الحضارة التي يصنعها الإنسان العاقل الكريم، وتسعد بها الإنسانية الواعية الكريمة، والحضارة التي يعلو فيها الأبيض، ويمتهن فيه الأسود، ويسعد بها ذو البشرة البيضاء، ويشقى بها الملونون،هي الحضارة الجاهلية التي ترد بها الإنسانية إلى الوراء مئات القرون عمياء متكبرة جاهلة حمقاء ، إنك امرؤ فيه جاهلية،**

(1) الرسول،ص392،سعيد حوى، مكتبة وهبة.

(2) الحجرات: 13.

هذا الوصف للحضارة الجاهلية التى تنادى بالتميز العنصرى ، وهو ماكافحته حضارتنا فى كل الميادين ، فى المسجد والمدرسة والمحكمة والقيادة ، مع الأصدقاء ومع الأعداء على السواء) [1] .

أين روح المساواة هذه مما يحدث اليوم فى حضارة الغرب ، فى كل الأماكن وعلى كل المستويات ،حتى فى أماكن العبادة (**فقد دخل زنجى من جمهورية "بنما" كنيسة فى واشنطن ، وفيما هو مستغرق فى صلاته ،سعى إليه أحد القسس ، وقدم له قصاصة من ورق كتب فيها عنوان كنيسة زنجية كاثوليكية ، وحين سُئل القس عن سبب ذلك التصرف أجاب : إن فى المدينة كنائس خاصة بالكاثوليك الزنوج ، ويستطيع هذا المرء الأسود أن يقف فيها بين يدى ربه)** [2] .

هذا هو الفارق بين مايقدمه الإسلام وحضارة الإسلام وبين ماتقدمه الحضارات الأخرى ، وهذا النقل الأخير ليس بحاجة إلى تعليق ، فهو يتحث عن نفسه .

3 – **العدل بين الناس جميعًا :**

ومن مظاهر النزعة الإنسانية فى الإسلام كذلك : العدل ، وهوكقيمة دعا إليها الإسلام ، تبذل للناس كل الناس، دون اعتبار للاختلاف الواقع بينهم فى أشياء كثيرة ، فهو عدل عام يؤكده ويجسده قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[3] . قال النسفى فى " تفسيره " :(**بالقسط : بالعدل ،ولا يظلم أحد أحداً)** [4] .ويالله ما أروع الإشارة هنا ،فكأن الله سبحانه ما أرسل رسله ومأأنزل كتبه إلا ليحقق هدفًا واحداً، ومقصداً أساسياً ، وهو أن يقوم الناس بالعدل ،فيأخذ كل إنسان حقه ويؤدى ماعليه ،ولا يلفت النظر فى العدل الذى جاء به الإسلام أنه يسع الناس جميعًا كما هي الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ

---

(1) من روائح حضارتنا ، ص72 ،د./ مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى .

(2) نفسه ،ص 78 .

(3) الحديد: 25

(4) تفسير النسفى: جـ3 ،ص 239 ،دار إحياء الكتب العربية.

ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[1] ، هكذا بالتعميم بين الناس ،وإنما يلفت النظر فيه أنه يثبت في حالتي الحب والبغض ، والعواطف لا مجال لها في هذا الإطار ، ومن ثم وجدنا القرآن الكريم يؤكد العدل في الحالتين:

ففي قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾[2].يتأكد العدل في حالة الحب.

وفي قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْ ﴾[3] يتأكد العدل مع من تكره.

وبهذا المستوي الرائع من العدل جاب المسلمون الأرض في عصر النبوة،وما تبعه من عصور،فأقاموا دولة الحق علي أساس العدل،فكانت دولة خير ورحمه للناس كل الناس وللبشر كل البشر.

4- التسامح مع غير المسلمين:

ومن أروع مظاهر الإنسانية في الإسلام كذلك – التي تمثل دعامة هامة في بناء إنسانية واحدة-روح التسامح التي جاء بها الإسلام ودعا إليها،وتلك الروح التي مكنت المسلمين من إقرار السلام في الأرض ،وصهر الأجناس والأوطان في بوتقة واحدة،وإشاعة روح الود والتراحم بين بني البشر،وتنقية أجواء الحياة من سموم التحاسد والتطاحن والتناحر، هذا ويظل التسامح أولاً وأخيرًا هو المبدأ الذي جذب جماهير الناس إلي هذا الدين،فأقبلوا عليه آمنين من خوف ،مطمئنين من قلق، مستريحين من تعب ،إنه التسامح الذي قامت عليه حضارة الإسلام ، والذي (**يوجب علي المسلم أن يؤمن بأنبياء الله ورسله جميعًا ،وأن يذكرهم بالإجلال والاحترام،وأن لا يتعرض لأتباعهم بسوء،وأن يكون معهم حسن المعاملة،رقيق الجانب ،لين القول،ويحسن جوارهم ،ويقبل ضيافتهم ويصاهرهم حتي تختلط الأسرة وتمتزج الدماء،وأوجب**

(1) النساء: 58.

(2) النساء: 135.

(3) المائدة: 8.

الإسلام علي الدولة المسلمة أن تحمي أماكن عبادتهم،وأن لا تتدخل في عقائدهم،ولا تجور عليهم في حكم،وتسويهم بالمسلمين في الحقوق والواجبات العامة، وأن تصون كرامتهم وحياتهم ومستقبلهم ،كما تصون كرامة المسلمين وحياتهم ومستقبلهم)[1].

إن روح التسامح هذه عنصر هام في إقرار السلام في الأرض ،وتوطيد الأخوة بين الناس، وهي الروح التي لايبعثها إلا الإسلام ،ولا يحققها إلا شريعته ،في ظل حياة يهددها اليوم خوف دائم ،وقلق مستمر ،وتربص حذر بين كل فرد وفرد ودولة ودولة،فتشقي البشرية،ويشقي الناس بما كسبت أيديهم .

5 -**الدعوة إلي سلام العالم** :

وأخيراً تأتي الدعوة إلي سلام العالم واستقراره كواحدة من أبرز مظاهر الإنسانية في الإسلام ،وهي بدورها تؤمن حياة الناس علي وجه الأرض، وتهيِّئ لهم عيشًا هنيًا ، وحياة هادئة مطمئنة، فالإسلام دعوة إلى السلام لكنه السلام القائم على ضمان الحقوق،و حماية الممتلكات والمقدسات، صحيح أن الإسلام شرع الجهاد، وجعله ذروة سنامه،و لكن الجهاد إنما شرع لدفع العدوان، ورد المعتدين، والتمكين للدعوة، وإنقاذ المستضعفين، وتأديب الناكثين ، فلا يظن أحد أن الجهاد عدوان على مسالم، أو اعتداء على برئ، فهذا خطأ فادح، وانحراف واضح، ونصوص الوحي أبلغ تأكيد للجهاد بهذا المعنى يقول سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [2].

والطريف في هذا الباب أن الله سبحانه في وحيه الأخير اعتبر عدم وقوع الحرب نعمة عظيمة وامتن بها على المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾[3].(فهذا التعليق القرآني ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ يبين أن هذه نعمة عظيمة من الله تعالى للمؤمنين، أن رد عنهم أعداءهم، ولم يحققوا

(1) من روائع حضارتنا،ص83،د./ مصطفى السباعي،مصدر سابق.
(2) البقرة:193.
(3) البقرة:193.

أهدافهم من غزوتهم، وأن الله تعالى كفاهم القتال، وأراحهم من تبعاته وآثاره، ولا يتصور هذا التعليق الرائع ممن يتعطش ويعشق رؤية الدم المسال. في غزوة الحديبية يعقب القرآن الكريم على ما تم من صلح بين الرسول ﷺ والمشركين، فينزل سورة **"الفتح"**،وفيها يقول سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1].فيقول الصحابة:أفتح هو يا رسول الله؟فيقول:**"نعم"**[2]. بل الأطرف من ذلك إشارة إلى روح السلام التي تدب في أوصال الإسلام، وتجري في عروق المسلمين ما ورد من قوله ﷺ:**" أقبح الأسماء حرب ومرة"**[3].

إنه يشير إشارة واضحة إلى أنه ﷺ يكره الحرب ويكره حتى اسمها ، وكل مايذكر بها ، وياله من أصل عظيم ، ومبدأ عميق يعتمده الإسلام إيماناً منه بأن الناس كلهم إخوة ،والعلاقة بينهم ينبغى أن تقوم على التفاهم والحوار ، لا على القتال والحرب والشجار .

وفق هذه الأسس الخمسة التى تتجلى بها مظاهر الرحمة والإنسانية في الإسلام ، يقيم الإسلام حياة الناس ، وينظم العلاقات بينهم ،ممهداً بذلك لقيام إنسانية واحدة ، وبشرية مهتدية ، يعمها الأمن ، وتظللها السكينة ، ويرفرف عليها السلام بجناحين نديين ، تحتاج إليهما البشرية اليوم ؛لترتفع فوق كل عوامل الخلاف والشقاق ، وتحلق عالياً فى فضاء رحب من الحب والتفاهم والأمن والسلام .

(1) الفتح:1.

(2) كيف نتعامل مع القرآن العظيم،ص23،د. / يوسف القرضاوي،ط2،سنة 2000. والحديث أخرجه أحمد في المسند(15470)، عن مجمع بن جارية،ط 2 سنة1999، مؤسسة الرسالة.

(3) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه عن أبي هريرة ط،ك/ الأدب،باب في تغيير الأسماء، ج4، ص288.

وأخيرًا .... كلمة

بكل مامر من أهداف عالية وغايات عظيمة ، يطرح الإسلام نفسه على الحياة اليوم باعتباره وحده الذى يملك القدرة على إعادة صياغة الحياة البشرية صياغة هادية ، وربطها بزمام من حبل الله المتين ، ونوره المبين ، فيضمن لها بذلك السداد والرشاد ، والهداية والاستقامة ،من خلال خطة عمل واضحة وميسرة ، تتضمن إعادة بناء الإنسان والأسرة والمجتمع والإنسانية على النحو الذى تم بيانه.

طريق الخلاص

وبعد ..فإن البشرية اليوم تعيش حياتها على شفا جرف هار ، يوشك أن يسقط بها ، مالم تدركها عناية خالقها قبل السقوط ،وإن الإنسان كذلك يعيش حياة ملؤها البؤس والشقاء ،يتذوق فيها طعم الأسى ،ويتجرع مرارة الألم ،ولن يخرج من هذه الدائرة النكدة إلا إذا عاد من جديد ليمسك بحبل الله المتين ،ونوره المبين ، وعروته الوثقى التى لا تنفصم ، والأمل الوحيد اليوم في الإنقاذ ، يتمثل في الإسلام ،فهو الخيار الوحيد أما م البشرية ولا خيار سواه ، وبناء على كل المعطيات التى مرت ،فإننا نردد اليوم – وبكل قوة – مع سيد قطب رحمه الله تعالى قوله :(**فمن طبيعة المنهج الذى رسمه هذا الدين،ومن حاجة البشرية إلى هذا المنهج، نستمد يقيننا الذي لا يتزعزع،في أن المستقبل لهذا الدين، وأن له دورًا في هذه الأرض هو مدعو لأدائه-أراد أعداؤه أم لم يريدوا-وإن دوره هذا المرتقب، لا تملك عقيدة أخرى-كما لا يملك منهج آخر-أن يؤديه، وإن البشرية بجملتها لا تملك أن تستغني عنه طويلاً**)[1].

(1) المستقبل لهذا الدين،ص 93 .مصدر سابق.

المراجع

-القرآن الكريم

أولاً:كتب التفسير:

1- تفسير القرآن العظيم.الإمام ابن كثير.ط.مكتبة مصر.

2- تفسير النسفي.دار إحياء الكتب العربية.

3- في ظلال القرآن.سيد قطب.ط12.دار الشروق.

ثانياً: كتب الحديث:

4- سنن ابن ماجة.ط. دار الفكر.

5- سنن أبي داود.ط. دار الفكر.

6- صحيح مسلم بشرح النووي.ط. المطبعة المصرية ومكتبتها.

7- صحيح ابن حبان.ط2. مؤسسة الرسالة .بيروت.

8- فتح الباري بشرح صحيح البخاري.ط. المكتبة السلفية.

9- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.الإمام ابن حجر الهيثمي.ط. مكتبة القدسي. القاهرة.

10- المستدرك.للإمام الحاكم.ط. دار الكتب العلمية.بيروت.

11- مسند أحمد.ط2. مؤسسة الرسالة.بيروت.

ثالثاً: كتب الثقافة الإسلامية:

12- إحياء علوم الدين.الإمام/أبو حامد الغزالي.ط. دار الحديث.

13- أساليب الغزو الفكري.د./على جريشة.دار الاعتصام.

14-الإسلام عقيدة وشريعة.الشيخ/محمود شلتوت.ط16. دار الشروق.

15-الإسلام كبديل.د/مراد هوفمان.ط3.مكتبة العبيكان.

16-الإسلام هو الحل.محمد عبد الله الخطيب.ط1.دار المنار.

17-الإسلام حضارة الغد.د./يوسف القرضاوي.ط1.مكتبة وهبة.

18- الإسلام والتنمية الاجتماعية.د./محسن عبد الحميد.ط2. المعهد العالي للفكر الإسلامي.

19-الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة.البهي الخولي.ط1.دار البشير.

20- الإسلام ومشكلات الحضارة.سيد قطب.ط10.دار الشروق.

21- أصول الدعوة.د./عبد الكريم زيدان.ط3.مؤسسة الرسالة.

22- الإنسان في التصور الإسلامي.د./محمود حمدي زقزوق.سلسلة قضايا إسلامية. رقم/68.

23- أولادنا.د./ محمود محمد عمارة.ط1. دار الخير.

24- الإيمان والحياة.د./يوسف القرضاوي.ط8. مكتبة وهبة.

25- تذكرة الدعاة. البهي الخولي.ط8.دار البشير.

26- التفكك الأسري.الأسباب والحلول المقترحة.مجموعة من الباحثين. كتاب/ الأمة . رقم/83.

27-التفكك الأسري.دعوة للمراجعة.مجموعة من الباحثين.كتاب/ الأمة.رقم/85.

28- حفار القبور.رجاء جارودي.ط3.دار الشروق.
29- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.الشيخ/ محمد الغزلي.ط3.دار الكتب الإسلامية.
30- خطب الشيخ القرضاوي.ط1. مكتبة وهبة.
31- خلق المسلم.الشيخ/محمد الغزلي.ط10.دار الكتب الإسلامية.
32- الدعوة الإسلامية والإنقاذ العالمي.د./عبد الله علوان.ط2.دار السلام.
33- الرسول.سعيد حوى.مكتبة وهبة.
34- السلام العالمي والإسلام.سيد قطب.ط8.دار الشروق.
35- الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية.عمر سليمان الأشقر.دار الفرقان.
36- الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .ابو الحسن الندوى دار البشير.
37- العبودية .ابن تيمية .المكتبة القيمة .بدون.
38- العقيدة .جوهرها ومقاقها.محمد عبد الله الخطيب .دار المنار.
39- قبسات من الرسول ه.محمد قطب.ط8 دار الشروق.
40- كيف نتعامل مع القرآن الكريم .د./ يوسف القرضاوى .ط2.دار الشروق .
41- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين .أبو الحسن الندوى .ط10. المركز الإسلامى للطباعة.
42- مجموعة الرسائل .حسن البنا .ط9.دار الدعوة .
43- المحاور الخمسة للقرآن الكريم . الشيخ / محمد الغزلى .ط2 . دار الصحوة .
44- مدخل إلى التنمية المتكاملة د./ عبد الكريم بكار.ط1.دار العلم 45- مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية .د.يوسف القرضاوى .ط1. مكتبة وهبة .
46- مدخل لمعرفة الإسلام.د./يوسف القرضاوي.ط1. مكتبة وهبه.
47- المستقبل لهذا الدين.سيد قطب.ط6.دار الشروق.
48- المشروعية الإسلامية العليا.د./على جريشة.ط2.دار الوفاء.
49- معالم المنهج الإسلامي.د./محمد عمارة.ط3.دار الرشاد.
50- معالم في الطريق.سيد قطب. طبعة بدون بيانات.
51- مفاتيح الحضارة وتحديات العصر.د./محمود حمدي زقزوق سلسلة قضايا إسلامية.ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
52- ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.د./يوسف القرضاوي.ط1 . مكتبة وهبه .
53- من أجل انطلاقة حضارية شاملة.د./عبد الكريم بكار.ط1 دار المسلم.الرياض.
54- من روائع حضارتنا.د./مصطفى السباعي. المكتب الإسلامي.
55- منهج التربية الإسلامية .محمد قطب.ط11.دار الشروق.
56- نحو فقه ميسر.د./ يوسف القرضاوي.ط1.مكتبة وهبة.
57- نحو مجتمع بلا مشكلات.د./ محمود محمد عمارة.ط1.مكتبة الإيمان.
58- نظرات في مسيرة العمل الإسلامي.عمر عبيد حسنة.ط1.كتاب/ الأمة.
59- هذا الدين.سيد قطب.ط1.دار الشروق.
60- هذا هو الإسلام.د./ مصطفى السباعي.ط2.المكتب الإسلامي.